

جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

# الجهل والجاهلية (دراسة قرآنية)

إعداد

بلال عبد الرحمن محمد سليم

إشراف

د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية  
الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس

2015

# الجهل والجاهلية

## (دراسة قرآنية)

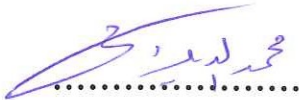
إعداد

بلال عبد الرحمن محمد سليم

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 3 / 7 / 2015، وأجيزت.

التوقيع

  
.....

  
.....

  
.....

أعضاء لجنة المناقشة

- د. عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

- د. محمد الديك / ممتحناً خارجياً

- د. خالد علوان / ممتحناً داخلياً

## الإهداء

أهدي عملي هذا إلى سيّد الأوّلين والآخريّن، إمام الدّعاة والمُتّقين، سيدنا محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم

وإلى والديّ الكريمين، اللّذين كان لهما كل الفضل عليّ، أطال الله في عمريهما، وغمرهما بواسع رحمته.

ولا يسعني إلا أن أهدي هذا العمل إلى إخوتي الكرام، وأخواتي الكريمات، اللّذين تقاسموا معي مشوار الطفولة، ومسيرة الحياة، وأعانوني وساندوني في كل أموري، فلمنّ مني كل حب وتقدير، وأسأل الله عز وجل أن يديمهم سداً وعوناً لي.

كما أهدي هذا العمل إلى من ساندني وأزرنني في دربي، وقاسمني فرحتي ورزقي، بارك الله لي فيهم.

وإنه لزاماً عليّ أن أقدم هذا العمل هديّة إلى روح عمي الغالي؛ الذي كان له عليّ من الأفضال الكثير، ووجّهني، ونصحتني، وساعدني، ومدّ يد العون لي، وكان نعم الناصح والرفيق، فجزاه الله كل خير، وتغمّد روحه برحمة من عليائه. وإلى زوجته الغالية التي وقفت بجانبني لأكمل المشوار وكانت خير معين لي.

ويطيب لي أن أهدي هذه الرسالة المتواضعة إلى كل أساتذتي الكرام، وأخص بالذكر منهم الدكتور المحترم: عودة عبد الله حفظه الله، وبارك لنا فيه.

كما أهدي بحثي هذا إلى كل من جمعني بهم القدر في مشواري الدراسي، من أخ، أو صديق، أو زميل.

الباحث

## الشكر والتقدير

من تمام نعم الله علينا أن ألهمنا الشكر على النعم، فقال الله عز وجل في محكم التنزيل: (وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)<sup>1</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام —: "من لا يشكر الناس، لا يشكر الله"<sup>2</sup>، من أجل ذلك فإنه يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر لكل يد مدّت يد العون لي، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل، فضيلة الدكتور: عودة عبد الله حفظه الله، على كل ما قدمه لي من نصح وتوجيه، فبارك الله فيه، وجزاه الله كل خير.

وأتقدّم بخالص شكري إلى الأساتذة الكرام، أعضاء لجنة المناقشة، لموافقته على مناقشة هذه الرسالة، والرقّيّ بها نحو الأفضل، فلهم مني كل تقدير واحترام.

كما أرسل شكرًا من الأعماق لفضيلة الشيخ: بلال حنون حفظه الله، الذي أرشدني في هذا الموضوع، وتابعني من أول حرف سطرت به رسالتي، وتكرّم عليّ بنصحه، وتوجيهه، وتصويبه، فبارك الله فيه.

كما وأتقدم بخالص شكري وامتناني إلى الأساتذة الأفاضل، دكاترة العلم والإيمان، أساتذة كلية النور، على كل ما أفادوني به من علم، ومنهج، وتقويم، فإن قلت شكرًا فشكري لن يوفّيهم حقّهم، فجزاهم الله خيرا، وجعلهم ذخرا للإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مد يد العون لي في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم الخير العظيم.

### الباحث

1 - سورة النحل، الآية 114.

2 - رواه الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1421هـ - 2001م)، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم 7939، 322/13، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، كتاب البيوع، باب ما جاء فيمن يشترى العبد ويستغله ثم يجد به عبياً، حديث رقم 1954، 339/4، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



## الإقرار

أنا الموقع أدناه، صاحب الرسالة التي تحمل العنوان:

## الجهـل والجاهلية

(دراسة قرآنية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه  
حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب  
علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

### Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the  
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other  
degree or qualification.

Student's Name:

إسم الطالب : مراد عبد الرهمن محمد سيام

Signature:

التوقيع : 

Date:

التاريخ: 2015 / 7 / 3

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	الإقرار
ح	فهرس الموضوعات
ذ	الملخص
1	المقدمة
2	الدراسات السابقة
4	ما يميز هذه الدراسة
4	أهمية الدراسة
5	أسباب اختيار الموضوع
5	مشكلة الدراسة
5	أهداف الدراسة
6	منهجية الدراسة
7	خطة الدراسة
9	الفصل الأول: مفهوم الجهل ودلالاته في السياق القرآني
10	المبحث الأول: الجهل في اللغة والاصطلاح
10	المطلب الأول: التعريف اللغوي للجهل
13	المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للجهل
16	المبحث الثاني: معاني الجهل في السياق القرآني
18	المطلب الأول: الجهل نقيض العلم
21	المطلب الثاني: الجهل السلوكي (السفه والخفة والطيش)
23	المطلب الثالث: الجهل بمعنى المعصية
24	المطلب الرابع: الجهل بمعنى ضعف الإيمان
25	المطلب الخامس: الجاهلية بمعنى الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام
30	المبحث الثالث: نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم
33	الفصل الثاني: أصناف الجاهلية في القرآن الكريم

34	<b>المبحث الأول: جاهلية العقيدة</b>
34	المطلب الأول: جاهلية في الولاء والبراء
38	المطلب الثاني: جاهلية عدم إفراد الله بالعبادة
42	المطلب الثالث: جاهلية سوء الأدب مع الله عز وجل
43	المطلب الرابع: جاهلية عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، والتسليم لهما
46	المطلب الخامس: جاهلية الإصرار على الكفر
47	المطلب السادس: جاهلية التحاكم لغير الله
53	<b>المبحث الثاني: جاهلية الأخلاق والسلوك</b>
53	المطلب الأول: جاهلية التكبر على الآخرين
57	المطلب الثاني: جاهلية الانحراف عن الفطرة
60	المطلب الثالث: جاهلية معاداة أهل الحق
63	المطلب الرابع: جاهلية التبرج والسفور
67	<b>المبحث الرابع: جاهلية العلم</b>
71	<b>الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية</b>
72	<b>المبحث الأول: التحذير من سلوك الجاهلية</b>
73	المطلب الأول: بيان القرآن الكريم بطلان أمور الجاهلية
75	المطلب الثاني: كشف القرآن الكريم أن أمور الجاهلية فتنة وابتلاء
76	المطلب الثالث: بيان القرآن الكريم ندامة من عمل بعمل الجاهلية
79	المطلب الرابع: إصدار القرآن الكريم الأحكام الصارمة بحق من عمل عملاً من أعمال الجاهلية
80	المطلب الخامس: بيان القرآن الكريم عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية
83	<b>المبحث الثاني: الدعوة للإعراض عن الجاهلية</b>
83	المطلب الأول: أمر الله عز وجل المؤمنين بالإعراض عن الجاهلية
85	المطلب الثاني: استجابة المؤمنين لأمر ربهم، فأعرضوا عن الجاهلين
87	<b>المبحث الثالث: النهي عن التشبه بالجاهلية</b>
91	<b>المبحث الرابع: وصف الأمم الكافرة بالجهل</b>
91	المطلب الأول: قوم نوح قوم يجهلون
92	المطلب الثاني: قوم عاد قوم يجهلون

93	المطلب الثالث: قوم لوط قوم يجهلون
94	المطلب الرابع: بنو إسرائيل قوم يجهلون
96	المطلب الخامس: الجهالة صفة عامة لمعظم الكافرين
98	المبحث الخامس: بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية
98	المطلب الأول: نوح عليه السلام يُؤمر بألا يكون من الجاهلين
99	المطلب الثاني: تنزيه يوسف عليه السلام من أن يكون من الجاهلين
100	المطلب الثالث: موسى عليه السلام يستعيز بالله من الجاهلية
101	المطلب الرابع: محمد عليه السلام نُهي أن يكون من الجاهلين
103	الفصل الرابع: أثر الجاهلية وأحكامها على الفرد والمجتمع
104	المبحث الأول: انتشار السفور والتبرُّج
108	المبحث الثاني: التعصب والحمية الجاهلية
112	المبحث الثالث: الظن السيئ بالله تعالى وحكمه
117	المبحث الرابع: الوقوع في المعصية وارتكاب الذنوب
120	المبحث الخامس: نشر الفساد والشائعات المغرضة
124	المبحث السادس: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى
133	الخاتمة
133	نتائج الدراسة
134	توصيات الدراسة
136	فهرس الآيات القرآنية
140	فهرس الأحاديث النبوية
142	المصادر والمراجع
B	Abstract

## الجهل والجاهلية - دراسة قرآنية

إعداد

بلال عبد الرحمن محمد سليم

إشراف

د. عودة عبد الله

### الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع الجاهلية، وتسير مع آياته كموضوع قرآني عرضه القرآن الكريم ضمن سلسلة المواضيع الكثيرة التي تطرق إليها، مشيراً إلى أهميته، عارضاً لآثاره وسلبياته.

وقد عرضت هذه الدراسة هذا الموضوع في أربعة فصول، فكان الفصل الأول حول معنى الجهل في اللغة والاصطلاح، ثم تتبّع ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم، مع بيان معنى الكلمة في كل موضع، وأخيراً كان الحديث عن نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم. وجاء الفصل الثاني من هذه الدراسة حول أصناف الجاهلية في القرآن الكريم، فتحدّثت عن جاهلية العقيدة وعرضت مظاهرها من خلال القرآن الكريم، ثم جاهلية التشريع وعرضت مظاهرها، ثم جاهلية الأخلاق والسلوك وأوضحت سماتها، وأخيراً جاهلية العلم، ليُختتم هذا الفصل بإثبات أن الأمة الإسلامية اليوم - فضلاً على غيرها من الأمم - تعيش في جاهلية ما بعدها جاهلية؛ لابتعادها عن دينها، وجهلها به.

أما الفصل الثالث من هذه الدراسة فكان الحديث فيه عن منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية، فأوضحت منهج القرآن الكريم في التحذير من سلوك الجاهلية وبيان زيفها وبطلانها، ثم أظهرت، دعوة القرآن الكريم للإعراض عن الجاهلية، والنهي عن التشبه بها، ليُختتم الفصل بوصف الأمم الكافرة بالجهل، وبيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية. وأخيراً كان الحديث عن أثر الجاهلية وأحكامها على الفرد والمجتمع، فتحدّثت الدراسة عن كل مظهر من مظاهر الجاهلية تحدّث عنه القرآن الكريم، فبيّنت آثارها، وكشفت مخاطرها على الأفراد والمجتمعات.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى حين خلق الإنسان، لم يتركه كالبهائم السائمة تسيّره نوازعه وغرائزه، وإنما علمه أسماء كل شيء، ليعيش في الدنيا على هدى ونور، ويكتشف مكونات الكون على بصيرة وعلم، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)<sup>1</sup>.

ومن رحمته تعالى أن أنزل الرسالات والكتب هداية للحيارى، وإرشاداً للتائهين، وبياناً شافياً للجاهلين الشاردين، كي يقيموا من خلالها حياتهم، ويصوبوا على ضوئها أوضاعهم، وينشئوا من هديها تصوراتهم للكون والحياة، فمن أخذ بها فقد أخذ بحظ وافر من حياة رغيدة هنيئة، مبنية على تصورات وأوضاع قويمية متينة، ومن تركها واعتمد على هواه وشهوته ورغباته فقد حكم على نفسه ومجتمعه بالجهل والسفه والطيش، وإن كان في القمة علماً ومدنية، قال تعالى: (قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَمَخْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)<sup>2</sup>.

لقد حدد القرآن الكريم - وبدون لبس وغموض - أن الأفكار والتصورات والسلوك والأخلاق لا تؤسس إلا من خلال هدي السماء، وبدون هذا الهدى فإن الجاهلية بكل تصوراتها وأوضاعها هي التي ستسود بين الأفراد والمجتمعات.

وعليه فإن الناظر بعين التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى يجد أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية أتت وانقضت، وإنما هي تصورات وعقائد وأحكام وسلوك وأخلاق وأوضاع بنيت على غير هدي السماء، وأسست على الهوى والتقليد للأباء والأجداد.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 31 .

<sup>2</sup> سورة طه، الآيات (123-124).

ومن خلال تتبعي لآيات الذكر الحكيم المتعلقة بالجهل والجاهلية؛ تبين لي حقائق مهمة، وضوابط للتصورات والقيم لا غنى للمسلم المعاصر عنها، وهو يعيش ويعايش الجاهلية المعاصرة بصورها المتعددة والمختلفة.

ودراستي هذه تتركز على الآيات التي ذكرت الجهل والجاهلية في القرآن الكريم؛ من خلال دراستها دراسة موضوعية متأنية ومتعمقة، والإفادة منها في كل المناحي، في التصورات والقيم والسلوك، وفي العقيدة والشريعة، وفي الحكم والسياسة، وضبط مفهوم الجاهلية؛ وذلك لأن أقداما زلّت، وألسنة حدادا سلقت أعراض بعض الدعاة الذين نادوا وبينوا بعض الحقائق الجوهرية حول هذا المصطلح، وأسميت هذه الدراسة (الجهل والجاهلية - دراسة قرآنية) .

واقصر دراستي هذه على القرآن الكريم؛ لأنه الكتاب الذي لا تتقضي عجائبه، والذي أجاب عن كل التساؤلات التي أحاطت بمفهوم الجاهلية، كما أنه بيّن أن هذا المصطلح شامل لكل عمل وتصور وسلوك يشاق الإسلام أو هدي السماء، وأنه غير مرتبط بفترة زمنية عابرة.

وإني مقرّ أن هذا الجهد الذي قمت به هو جهد المقل، ولكنها محاولة للوقوف والتأمل والتدبر والاستنباط، فإن كان صوابا فمن الله تعالى، فله الحمد والمنة، وإن كان الثاني فمني وحدي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

### الدراسات السابقة:

لقد كتب الكثير من الدعاة والمفكرين عن الجاهلية، وأبرزوا جوانبها المظلمة، وكانت معظم هذه الكتابات عبارة عن مقالات، أو ردود، أو ومضات في تفسير آية، وقلّ أن تجد كتابا شاملا عنها باستثناء كتاب (جاهلية القرن العشرين) للأستاذ محمد قطب، ومن هذه الكتب والدراسات:

1- جاهلية القرن العشرين، للأستاذ محمد قطب: تحدّث فيه مؤلفه عن ملامح الجاهلية الحديثة، وانحراف تصوّراتها، وفساد سلوكها؛ وعرض ذلك كل حسب مجاله، فبيّن انحراف الجاهلية في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، وغير ذلك من المجالات.

إلا أن هذا الكتاب كان أشبه بخواطر، صوّر فيها المؤلف الواقع المُعاش، وأشار إلى جاهلية القرن الذي يحيا فيه - القرن العشرين -، وربط كل ذلك بغياب الدين؛ لكنه لم يقسّم الجاهلية إلى أنواع، ولم يفرق بين جاهلية وجاهلية، بل تحدّث عن الجاهلية بوصفها ظاهرة تدلّ على انحراف التصور.

وهذا العمل - مع قوّته - إلا أنه تنقصه المفارقة؛ إذ أن كل جاهلية غير أختها، ومظاهر الجاهلية تختلف من مكان لمكان، ومن زمان آخر، وهذا يقتضي المفارقة في نوع الجهالة الموصوف بها؛ وهذا ما سوف يتبيّن في هذه الرسالة.

2- حكم الجاهلية، للأستاذ أحمد شاکر: تحدّث فيه مؤلّفه عن بعض مظاهر الجاهلية في هذا العصر، وربط كل مظهر بأعداء الإسلام، مشيراً إلى دورهم القوي في تشويه الإسلام، وطمس شعائره.

ومع قوّة هذا الكتاب، وروعة ما فيه؛ إلا أنه وقع فيما وقع سابقه، فتحدّث عن الجاهلية دون التفريق بين جاهلية وأخرى، وهذا ما سوف يتجلّى في هذه الرسالة بعون الله.

3- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، لمحمود شكري الألويسي: تحدّث فيه مؤلّفه عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيراً إلى السبب الرئيس وراء ذلك، والذي هو غياب الدين.

والذي يظهر جلياً في هذا الكتاب؛ أنه كان يتحدّث عن مظاهر سلبية انتشرت في العصر الحديث، مشيراً إلى أنها كانت منتشرة في العصر الجاهلي، وظهورها في العصر الحاضر جاهلية؛ لكنه لم يتطرق إلى نوع هذه الجهالة بحال من الأحوال، ولم يفرق بين كل جاهلية وأخرى.

4\_ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي: حيث تناول في الجانب التطبيقي في أحد فصوله موضوع الجاهلية كنموذج لتفسير المصطلح القرآني.

ودوري في هذه الدراسة هو تقسيم الجهالة إلى أقسام، والتفريق بين جهالة وأخرى، وبيان مظاهر الجاهلية في العصر الحاضر، مع عزو كل مظهر من مظاهرها إلى نوعه من الجاهلية.



## ما يميز هذه الدراسة:

تمتاز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة بما يأتي:

- 1- إن هذه الدراسة هي دراسة قرآنية بحثية، وليست دراسة حركية أو فكرية، مع أنها تتلمس هذه القضايا.
- 2- إن هذه الدراسة تعالج أمراضاً ألفت بالأمة الإسلامية في هذا العصر، وهذا يعني واقعيتها.
- 3- إن هذه الدراسة تمتاز بتحليل الواقع المعاش، والإشارة إلى مظاهر الجاهلية فيه، والتطرق إلى كثير من المجالات التي لامستها الجاهلية في هذا العصر.
- 4- عرضت هذا الموضوع بأسلوب البحث العلمي وفق منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.
- 5- تناولت قضايا عديدة في مجالات العقيدة والتشريع والسلوك والأخلاق والعلم.
- 6- تطرقت لأساليب القرآن الكريم المتعددة في التحذير من الجهل والجاهلية .

## أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه، فهي تعالج قضية محورية ومركزية وشاملة في جوانب الإسلام المختلفة، سواء في التصورات أو العقيدة أو السلوك أو التشريع، ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- 1- إنها جاءت خدمة لكتاب الله تعالى، فهي دراسة قرآنية بالدرجة الأولى، إذ إن القرآن الكريم كان المصدر الأول والأساس والرئيس فيها.
- 2- إنها دراسة واقعية هامة، تكشف عن الداء، وتقدم الدواء.
- 3- إنها جاءت لتزيل ركاما من الشبهات والتساؤلات حول مفهوم الجاهلية وتطبيقاتها في العصر الحديث.
- 4- حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات القرآنية خاصة إلى مثل هذه الدراسة.

## أسباب اختيار الموضوع:

إن الدافع لاختياري هذا الموضوع كان الآتي:

- 1- عدم وجود دراسة مستوفاة وشاملة في هذا المجال؛ خاصة في جانبها القرآني.
- 2- الواقع الذي نعيشه والمليء بأنواع من الجاهلية بصورها المختلفة والمتعددة، والذي يتوجب فيه عليّ البيان والإيضاح؛ سواء ببيان مظاهر الجاهلية المنتشرة، أو ببيان نوعها، أو بالإشارة إلى الآثار المترتبة عليها.
- 3- لتوضيح وضبط مفهوم الجاهلية بجوانبها المتعددة والمختلفة، وبيان مدى ارتباطها بالواقع المعاش والمُشاهد.

## مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الجاهلية، وما المساحة التي حازت عليها الآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع؟
- 2- ما أصناف الجاهلية في القرآن الكريم؟
- 3- ما منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية ومظاهرها؟
- 4- ما الوسائل والطرق التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية؟
- 5- كيف عالج القرآن الكريم هذه القضية بكل جوانبها المتعددة؟
- 6- كيف تابع القرآن الكريم الآثار المترتبة على الجاهلية؟ وبم حكم على المتورطين بها؟

## أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي:

- 1- لفت الأنظار إلى الآيات التي تناولت موضوع الجهل والجاهلية في القرآن الكريم، وبيان الكيفية التي عرضها القرآن الكريم لتلك الآيات، بأساليبه البيانية المختلفة، ومشاهده المتنوعة.

2- الإفادة من هذه الآيات في حياة المسلم المعاصر، من خلال ما يعيشه من أوضاع وتصورات ومسلقيات جاهلية.

3- التحذير من هذا الداء العضال، وهذا السلوك المشين؛ وخاصة إذا ما تغلغل هذا المرض في المجتمعات وأصبحت توصف به.

### منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت صراحة عن الجهل والجاهلية، ثم تحليل ودراسة هذه الآيات، وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي، وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية:

- 1- جمع الآيات التي تحدثت عن الجهل والجاهلية، وعزوها إلى سورها، مشيراً إلى الاشتقاقات المتنوعة في عرض آيات الجاهلية في القرآن الكريم.
- 2- استخراج الحكم والأحكام المستفادة من هذه الآيات، ومحاولة ربطها في الواقع الذي نعيش، حتى لا تبقى هذه الدراسة نظرية جامدة لا حراك فيها.
- 3- الرجوع إلى المصادر الرئيسية في هذا الموضوع، وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة والحديثة، وبعض الكتب والدراسات والمقالات التي لها علاقة بالجاهلية.
- 4- اتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات بشكل علمي دقيق، وعزو الأقوال لأصحابها.
- 5- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي.

## خطة الدراسة:

قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة شاملة للتوصيات، وضمنت كل فصل عدّة مباحث على النحو التالي:

**الفصل الأول : الجهل في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، وفيه:**

المبحث الأول: الجهل في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: الجهل في السياق القرآني

المبحث الثالث: نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم

**الفصل الثاني: أصناف الجاهلية في القرآن الكريم، وفيه:**

المبحث الأول: جاهلية العقيدة

المبحث الثاني: جاهلية التشريع

المبحث الثالث: جاهلية الأخلاق والسلوك

المبحث الرابع: جاهلية العلم

**الفصل الثالث: منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية، وفيه:**

المبحث الأول: التحذير من سلوك الجاهلية

المبحث الثاني: الدعوة للإعراض عن الجاهلية

المبحث الثالث: النهي عن التشبه بالجاهلية

المبحث الرابع: وصف الأمم الكافرة بالجهل

المبحث الخامس: بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية

**الفصل الرابع: أثر الجاهلية وأحكامها على الفرد والمجتمع، وفيه:**

المبحث الأول: انتشار السفور و التبرّج .

المبحث الثاني: التعصب و الحمية الجاهلية .

المبحث الثالث: الظن السيئ بالله تعالى وحكمه .

المبحث الرابع: الوقوع في المعصية وارتكاب الذنوب .

المبحث الخامس : نشر الفساد والشائعات المغرضة .

المبحث السادس: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى .

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وأهم التوصيات التي يوصي بها.

## الفصل الأول

### مفهوم الجهل ودلالاته في السياق القرآني

المبحث الأول: الجهل في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: الجهل في السياق القرآني

المبحث الثالث: نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم

## الفصل الأول

### مفهوم الجهل ودلالاته في السياق القرآني

جاءت مادة جهل في القرآن الكريم على صيغ متنوعة، ومدار البحث في هذا الفصل الوقوف على معانيها في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، ومن ثم سبر غور نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم .

### المبحث الأول

#### الجهل في اللغة والاصطلاح

#### المطلب الأول: التعريف اللغوي للجهل

الجهل في اللغة يدل على نقيض العلم، قال الأزهري: "والمعروف في كلام العرب جهلتُ الشيءَ، إذا لم تعرفه"<sup>1</sup>، ولهذا قيل: (زوال الجهل بالعلم، وزوال الغي بالرشد)<sup>2</sup>. وهذا المعنى صحيح، سواء من حيث اللغة، أو من حيث العرف، إلا أن حصر المراد بالجهل بهذا المعنى فيه نوع من القصور؛ لأن استعمال اللغة للجهل أوسع من حصره في مجرد هذا المعنى، وبالنظر في كتب المعاجم، لاحظنا أن الجهل في اللغة يطلق على عدة أمور: **أولاً: الجهل نقيض العلم:** قال الفراهيدي: "الجهل نقيض العلم"<sup>3</sup>، وقال الأزهري: "قال الليث: الجهل: نقيضُ العِلْم"<sup>4</sup>، وقال ابن فارس: "الجهل: نقيض العلم، ويقال للمفاضة التي لا علم بها مجهل"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2001م)، 37/6.

<sup>2</sup> - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م)، 350/1.

<sup>3</sup> - الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال)، 390/3.

<sup>4</sup> - الأزهري: تهذيب اللغة، 37/6.

<sup>5</sup> - ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط2 - 1420هـ - 1999م)، 489/1.

واعتبر الراغب الأصفهاني أن هذا المعنى هو الأصل اللغوي للكلمة، قال الراغب: "الجهل: خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الجارية على غير النظام"<sup>1</sup>. وقال الأزهري: "والجهالة: أن يفعل فعلاً بغير علم"<sup>2</sup>.

ومنه قول الله عز وجل: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)<sup>3</sup>، أي: يحسبهم كذلك من لم يخبر أمرهم، قال الزمخشري: "أي: يخالهم"<sup>4</sup>، وقال ابن الجوزي: "لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبر فكأنه قال يحسبهم من لا يخبر أمرهم"<sup>5</sup>.

ومن ذلك قول الراغب الأصفهاني: "الجهل: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه"<sup>6</sup>، وقال الفيومي: "جهلت الشيء جهلاً وجهالة خلاف علمته وفي المثل (كفى بالشك جهلاً)"<sup>7</sup>. ويرى الإمام النووي أن هذا المعنى هو حقيقة الجهل، قال النووي: "حقيقة الجهل بمعناه المشهور هو الجزم بكون الشيء على خلاف ما هو"<sup>8</sup>. أي أن الجهل هو نقيض للعلم .

ثانياً: الجهل بمعنى فعل الشيء على خلاف ما ينبغي أن يفعل: قال الراغب: "فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً، أو فاسداً، كمن يترك الصلاة متعمداً"<sup>9</sup>. متعمداً"<sup>9</sup>.

1 - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، 1/102.

2 - الأزهري: تهذيب اللغة، 6/37.

3 - سورة البقرة، الآية 273.

4 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 1/345.

5 - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3 - 1404هـ)، 1/328.

6 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة، 1/102.

7 - الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت، المكتبة العلمية)، 1/113.

8 - النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية)، 3/53.

9 - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، 1/102.



ثالثاً: الجهل بمعنى السفه والخفه: قال ابن فارس: "الجهل: الخفة وخلاف الطمأنينة...، ومنه قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر: مجهل، ويقال: استجهلت الريح الغصن إذا حركته فاضطرب، ومنه قول النابغة:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل<sup>1</sup>.

ويمكن أن نجمل المعنى اللغوي للجهل من خلال التعريفات السابقة، فنقول: بأن حاصل الإطلاق اللغوي للجهل، بأنه يتعلق بثلاثة أمور:

الأول: يتعلق بالاعتقاد الذهني:

وهو الجهل بالشيء، أو العلم به على غير حقيقته ، وهذا هو المعنى الأول

الثاني: يتعلق بالسلوك:

وهو فعل الأمر على غير صورته، أو اضطراب الشخص نتيجة فعل أمر مذموم، وعلى هذا المعنى يُصرف المعنيين الثاني والثالث .

الثالث: يتعلق بالاصطلاح العرفي:

وهو إطلاق المسلمين بعد إسلامهم على المشركين، أو على الفترة التي كانت قبل مجيء الإسلام (الجاهلية).

وعلى هذه المعاني نص الراغب الأصفهاني، حيث قال: "الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الجارية على غير النظام، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 490/1.

<sup>2</sup> - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، 102/1.

## المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للجهل

إن التعريف الاصطلاحي للجهل مرتبط تماماً بالمعنى اللغوي، بل منبثق عنه، والمتبع لكتب الأصوليين والفقهاء، يرى أنهم قد اصطاحوا على إطلاق الجهل على معناه الاعتقادي الذهني، قال الجرجاني: "الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه"<sup>1</sup>.

وينقسم الجهل على هذا المعنى إلى نوعين<sup>2</sup>:

### الأول: الجهل البسيط:

والجهل البسيط كما قال الكفوي هو: (عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً)<sup>3</sup>، وقال ابن النجار: "الجهل البسيط: هو عدم العلم، وهو انتفاء إدراك الشيء بالكلية"<sup>4</sup>، وقال زكريا الأنصاري: "الجهل البسيط: انتفاء العلم بالمقصود، بأن لم يدرك أصلاً"<sup>5</sup>.

وعرّفه بعضهم: بأنه "ذهول القلب عن معلوم"<sup>6</sup>، والمعنى واحد، وإن اختلفت العبارات؛ لأن ذهول القلب عن الشيء، هو بعده عن إدراكه، وإن كان مؤقتاً.

---

<sup>1</sup> - انظر، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1403هـ - 1983م)، 108/1، بتصرف. انظر البركتي، محمد عيم الإحسان المجددي: قواعد الفقه، (كراتشي، الصدف بيلشرز، ط1 - 1407هـ - 1986م)، 256/1.

<sup>2</sup> - انظر، الجرجاني: التعريفات، 108/1، وابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ط2 - 1413هـ)، 77/1، والسيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين: معجم مقاليد العلوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، (مصر، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1 - 1424هـ - 2004م)، 65/1.

<sup>3</sup> - الكفوي: الكليات، 350/1.

<sup>4</sup> - ابن النجار: شرح الكوكب المنير، 77/1.

<sup>5</sup> - زكريا الأنصاري، أبو يحيى بن محمد بن زكريا: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1 - 1411هـ)، 67/1.

<sup>6</sup> - ابن النجار: شرح الكوكب المنير، 77/1. وانظر المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الدابة، (لبنان، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 - 1410هـ)، 260/1.

والى هذا النوع أشار قول الله عز وجل: (وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ● أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ<sup>1</sup>، فهو وصفهم بالعلم أولاً (وأنتم تبصرون)، ثم وصفهم بالجهل تارة أخرى (بل أنتم قوم تجهلون)، ولذلك تساءل الزمخشري، فقال: "كيف يكونون علماء وجهلاء؟ قلت: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة، أو أراد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها"<sup>2</sup>.

فقوم لوط فعلوا الفاحشة، مع علمهم بأنها فاحشة، فجهلهم هنا جهلاً بسيطاً، قال النسفي: "تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة، مع علمكم بذلك، أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها"<sup>3</sup>.

#### الثاني: الجهل المركب:

وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، قال زكريا الأنصاري: الجهل المركب: هو إدراك على خلاف هيئته في الواقع<sup>4</sup>، وقال المناوي: "الجهل المركب: اعتقاد جازم غير مطابق للواقع"<sup>5</sup>.

ومن هذا النوع قول الله عز وجل: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)<sup>6</sup>، قال

<sup>1</sup> - سورة النمل، الآيات (54-55).

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، 378/3.

<sup>3</sup> - النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م)، 218/3.

<sup>4</sup> - زكريا الأنصاري: الحدود الأنيقة، 68/1.

<sup>5</sup> - المناوي: التعريف، 260/1.

<sup>6</sup> - سورة الأعراف، الآية 138.

الزمخشري: "تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع"<sup>1</sup>.

وارتباط هذا النوع من الجهل بالواقع، لأنه يقتضي المغايرة، فالجاهل يرى نفسه على غير حقيقتها، قال القاضي نكري: "وأما العلم والاعتقاد بما يخالف الواقع فجهد مركب، لأنه جهل بشيء مركب من جهله، لأن صاحبه لا يعلم بجهله، بل يعلم أنه عالم، فهو جاهل من جهله"<sup>2</sup>.

وبيّن الكفوي سبب تسمية الجهل المركب بهذا الاسم، فقال: "وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق، سمي به لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه، فهذا جهل آخر قد تركبا معا"<sup>3</sup>.

وعلل ابن النجار تسمية هذا النوع من الجهل بالجهل المركب، لأنه جمع بين انتفاء العلم، مع الاعتقاد، قال الفتوجي: "لأنه مركب من عدم العلم بالشيء، ومن الاعتقاد الذي هو مطابق لما في الخارج"<sup>4</sup>، ولذلك قال الحرالي: "من لم يختم علمه بالجهل لم يعلم، وذلك الجهل هو البراءة من العلم إلا ما علم الله"<sup>5</sup>.

ويختلف نوعا الجهل عن بعضهما في سرعة وإمكانية الزوال، فالجهل البسيط يزول بسهولة، أما الجهل المركب فليس كذلك، قال القاضي نكري: "والجهل البسيط يزول بسرعة وسهولة بالتعليم والتعريف، وأما الجهل المركب فلا يزول إلا بصعوبة ومهلة، بل المشهور أن الجهل المركب لا يقبل العلاج"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، 141/2.

<sup>2</sup> - القاضي نكري، عبد النبي الأحمد: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: حسن هاني فحص، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1421هـ - 2000م)، 288/1.

<sup>3</sup> - الكفوي: الكليات، 350/1.

<sup>4</sup> - ابن النجار: شرح الكوكب المنير، 77/1.

<sup>5</sup> - البقاعي أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م)، 91/1.

<sup>6</sup> - القاضي نكري: دستور العلماء، 288/1.

## المبحث الثاني

### معاني الجهل في السياق القرآني

وردت مادة (جهل) في القرآن الكريم (أربعاً وعشرين مرة)، (خمس عشرة مرة) في السور المكية: (الأنعام، الأعراف، هود، يوسف، النحل، الفرقان، النمل، القصص، الزمر، الأحقاف)، و(تسع مرات) في السور المدنية: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأحزاب، الحجرات، الفتح)<sup>1</sup>.

عرض القرآن الكريم مادة الجهل على اختلاف صيغها واشتقاقها ، على النحو التالي :

المفردة وعدد ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	الآية	بيان المكي والمدني
تجهلون أربع مرات	1	(قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)	الأعراف	138	مكية
	2	(وَمَا أَنَا بِظَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)	هود	29	مكية
	3	(أَوَلَيْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)	النمل	55	مكية
يجهلون مرة واحدة	4	(قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)	الأحقاف	23	مكية
	5	(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)	الأنعام	111	مكية
الجاهل مرة واحدة	6	(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)	البقرة	273	مدنية
	7	(قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ	يوسف	89	مكية

<sup>1</sup> انظر، محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ - 2001م)، ص225، ومن خلال استقرائي لأيات كتاب الله عز وجل، وحصر ورود كلمة (الجهل) واشتقاقاتها.

			(جَاهِلُونَ)		
مكية	63	الفرقان	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)	8	الجاهلون ثلاث مرات
مكي	64	الزمر	(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)	9	
مدنية	67	البقرة	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	10	
مكية	35	الأنعام	(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	11	
مكية	199	الأعراف	(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)	12	
مكية	46	هود	(فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	14	
مكية	33	يوسف	(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	15	الجاهلين ست مرات
مكية	55	القصص	(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).	16	
مدنية	72	الأحزاب	(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)	17	جهولا مرة واحدة
مدنية	17	النساء	(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)	18	
مكية	54	الأنعام	(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)	19	
مكية	119	النحل	(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)	20	بجهالة أربع مرات
مدنية	6	الحجرات	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصَابُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)	21	

مدنية	154	آل عمران	(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)	22	الجاهلية أربع مرات
مدنية	50	المائدة	(أَفْحَسْتُمْ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)	23	
مدنية	33	الأحزاب	(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)	24	
مدنية	26	الفتح	(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)	25	

فكل هذه الاشتقاقات (تجهلون، يجهلون، الجاهل، الجاهلون، الجاهلين، جهولا، جهالة، الجاهلية)، وردت في كتاب الله عز وجل، متفرقة في سوره المكية والمدنية، مختلفة المعاني في كثير منها.

والمتتبع لورود مادة (الجهل)، واشتقاقاتها في كتاب الله عز وجل، يرى أن استعمال القرآن الكريم لهذه الكلمة كان يدور حول مجموعة من المعاني أوضحها في المطالب الآتية:

### المطلب الأول: الجهل نقيض العلم

أكثر معاني الجهل في القرآن الكريم بهذا المعنى، والغالب عليه أنه يجيء في مقام الذم، وقليل ما يأتي في غير ذلك. وهذا النوع من الجهل يطلق على المسلم وغير المسلم، كما في قول الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)<sup>1</sup>.

فالمسلون هنا لا يعلمون حقيقة الأمر في أن هؤلاء المعاندين لن يؤمنوا، حتى لو رأوا من الآيات العظام كإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، قال الأوسي: "ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم

<sup>1</sup> - سورة الأنعام، الآية 111.

إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ فيقسمون بالله تعالى جهد إيمانهم على ما لا يكاد يوجد أصلاً<sup>1</sup>.

وهذه الصفة من أكثر الصفات ملاصقة للإنسان؛ لأن الله عز وجل وصف الإنسان بأنه جهول، بصيغة المبالغة، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)<sup>2</sup>.

والمراد بالجهل في هذه الآية هو عدم معرفة حقيقة الأمر، فهو حمل الأمانة دون تقدير لعواقب حملها، قال الكلبي: ظلوما حين عصى ربه، جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة، وقال مقاتل: ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل<sup>3</sup>. وقال السمرقندي: "جهولا لعاقبة ما نقلده، يعني المتقبل الذي تقبله"<sup>4</sup>.

ومن ذلك قول الله عز وجل: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)<sup>5</sup>، أي: يحسبهم كذلك من لم يختبر أمرهم، قال الرازي: "لم يرد به الجهل الذي هو ضد العقل، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الاختبار، يقول: يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف"<sup>6</sup>.

ومن ذلك أيضا قول الله عز وجل: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)<sup>7</sup>، فهم يعلمون أنه رسول الله، لكنهم يجهلون وظائفه. قال أبو السعود: "تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين

<sup>1</sup> - الألويسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 4/8.

<sup>2</sup> - سورة الأحزاب، الآية 72.

<sup>3</sup> - انظر، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة)، 547/3.

<sup>4</sup> - السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث: بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، (بيروت، دار الفكر)، 73/3.

<sup>5</sup> - سورة البقرة، الآية 273.

<sup>6</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 71/7.

<sup>7</sup> - سورة الأحقاف، الآية 23.



وقته<sup>1</sup>. وقال الألوسي: "شأنكم الجهل، ومن آثار ذلك أنكم تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب"<sup>2</sup>.

ويندرج تحت هذا النوع، جهالة الحال، فالجهل بالحال يسوق صاحبه إلى القصور في فهم الأمر، كما في قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)<sup>3</sup>. فالنهي هنا عن إصابة القوم بسبب الجهل في واقعهم وحالهم. قال النسفي: "لئلا تصيبوا (بجهالة حال) يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة"<sup>4</sup>. وقال أبو السعود: "حذارا أن تصيبوا قوما بجهالة، ملتبسين بجهالة حالهم"<sup>5</sup>.

ويدل على ذلك سبب نزول هذه الآية، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، قال: إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتيهم بصدقات أموالهم، فلما سمعوا به تلقوه فرحاً به، فخاف منهم وظن أنهم يريدون قتله، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وزعم له أنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتله، فقدم وفد منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بكذب الوليد، فأنزل الله هذه الآية<sup>6</sup>.

فالخطاب في هذه الآية للمسلمين، الذين جهلوا بحقيقة الأمر، ولم يعرفوا حقيقة ما دار بين الوليد بن عقبة، وبين بني المصطلق، ولذلك قال الامام الشوكاني: "(أن تصيبوا قوما بجهالة) مفعول له، أي كراهة أن تصيبوا، أو لئلا تصيبوا، لأن الخطأ ممن لم يتبين الأمر ولم يثبت فيه هو الغالب، وهو جهالة لأنه لم يصدر عن علم، والمعنى ملتبسين بجهالة بحالهم"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 85/8.

<sup>2</sup> - الألوسي: روح المعاني، 25/26.

<sup>3</sup> - سورة الحجرات، الآية 6.

<sup>4</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، 163/4.

<sup>5</sup> - أبو السعود: تفسير أبو السعود، 118/8.

<sup>6</sup> - انظر. إبن حنبل: ا، حديث رقم 18459، 403/30، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

<sup>7</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 60/5.

## المطلب الثاني: الجهل السلوكي (السفه والخفة والطيش)

هذا المعنى من الجهل ذكر في القرآن الكريم في مورد الذم، وكل الآيات الواردة بهذا المعنى كانت في حق الكافرين.

وهذا المعنى غالباً ما يكون جهلاً بعد علم، كما هو الأمر في قول الله عز وجل: (وَجَاوِزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)<sup>1</sup>، فبنو إسرائيل قد رأوا من الآيات ما يجعلهم يعلمون يقيناً بربهم، إلا أن سلوكهم انحرف، قال الإمام فخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين أنواع نعمه على بني إسرائيل ... بين أن بني إسرائيل لما شاهدوا قوماً يعكفون على عبادة أصنامهم، جهلوا وارتدوا، وقالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة...، وتقرير هذا الجهل ما ذكر أن العبادة غاية التعظيم، فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام، وهي بخلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل، وخلق الأشياء المنتفع بها، والقادر على هذه الأشياء ليس إلا الله تعالى، فوجب أن لا تليق العبادة إلا به"<sup>2</sup>.

وهذا النوع من الجهل أقبح من سابقه، لأنه ناشئ عن خلل في الفكر والسلوك، لا عن عدم علم، ولذلك كانت الآيات الواردة في هذا المقام كلها من قبيل الذم والتوبيخ، قال الزمخشري: "تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع"<sup>3</sup>.

وقال الشوكاني: "وصفهم بالجهل: لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم - أعني بني إسرائيل - أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلوناً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الأعراف، الآية 138.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 181/14-182.

<sup>3</sup> - الزمخشري: الكشاف، 141/2.

<sup>4</sup> - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت، دار الفكر)، 240/2.

بل لشناعة هذا النوع من الجهل، فإن القرآن الكريم قد نهى عن الخوض مع أهل الجهل والسفه، وذلك في قول الله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)<sup>1</sup>، قال الشوكاني: "ذكر سبحانه أنهم يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه، فلا يجهلون مع من يجهل، ولا يسافهون أهل السفه، قال النحاس: ليس هذا السلام من التسليم، إنما هو من التسلم، تقول العرب سلاما أي: تسلما منك أي براءة منك"<sup>2</sup>، وقال الألويسي: "أي السفهاء وقليلو الأدب كما في قوله:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا<sup>3 4</sup>.

وهذا النوع من الجهل استعاذ موسى عليه السلام منه، في قول الله عز وجل: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>5</sup>، قال النسفي: "هذا من باب الجهل والسفه"<sup>6</sup>. وقال الشوكاني: "الجهل هنا: نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء، ولهذا أجابهم موسى بالاستعاذة بالله سبحانه من الجهل"<sup>7</sup>.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مثل هذا النوع من الجهل، فقال سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)<sup>8</sup>. قال السمعاني: "يعني: إذا سفه عليك الجاهل فلا تكافئه ولا تقابله بالسفه"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الفرقان، الآية 63.

<sup>2</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 85/4.

<sup>3</sup> - قائله هو: عمرو بن كلثوم، أنظر ديوان عمر بن كلثوم، حققه وجمعه إميل بديع يعقوب، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1\_1991م)، ص78.

<sup>4</sup> - الألويسي: روح المعاني، 44/19.

<sup>5</sup> - سورة البقرة، الآية 67.

<sup>6</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 49/1.

<sup>7</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 97/1.

<sup>8</sup> - سورة الأعراف، الآية 199.

<sup>9</sup> - السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن، المعروف بـ (تفسير السمعاني)، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418هـ - 1997م)، 242/2.

## المطلب الثالث: الجهل بمعنى المعصية

جاء الجهل في القرآن الكريم بمعنى المعصية، في أكثر من موضع، ففي قول الله عز وجل لنوح عليه السلام: (فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>1</sup>، الْجَاهِلِينَ<sup>1</sup>، قد نهي نوح عليه السلام أن يكون من الجاهلين، أي من المذنبين الآثمين، المرتكبين للمعاصي. قال السمعاني: "أي: إني أحذرك أن تكون من الآثمين، وذنب المؤمن جهل"<sup>2</sup>، وقال الواحدي: "من الآثمين"<sup>3</sup>. وهذا النوع من الجهل هو الذي ناجى يوسف عليه السلام السلام ربه أنه يصرفه عنه، وذلك في قول الله عز وجل: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>4</sup>.

فالجهل هنا بمعنى المعصية، لأنه ذكر الجهل تعقيباً لقوله (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ)، أي من الصبا واللهو، قال الزمخشري: "والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا؛ لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها"<sup>5</sup>.

فالجهل هنا هو الهوى والمعصية، لأنه معطوف على الصبا، قال الشوكاني: "معطوف على (أَصْبُ): أي أكن ممن يجهل ما يحرم ارتكابه، ويقدم عليه أو ممن يعمل عمل الجاهل"<sup>6</sup>.

وعليه، فالجهل والصبا بمعنى واحد، وهو ارتكاب الاثم. قال البغوي: "(وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ): فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً، يرتكبه عن جهالة"<sup>7</sup>، وقال السيوطي: "الجاهلين: المذنبين"<sup>8</sup>.

1 - سورة هود، الآية 46.

2 - السمعاني: تفسير القرآن ، 433/2.

3 - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، دار الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 - 1415هـ)، 522/1.

4 - سورة يوسف، الآية 33.

5 - الزمخشري: الكشاف، 441/2.

6 - الشوكاني: فتح القدير، 23/3.

7 - البغوي : معالم التنزيل 424/2.

8 - المحلي، والسيوطي: تفسير الجلالين، 308/1.

وقد دلت الآيات القرآنية، على أن كل عاص لله فهو جاهل، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)<sup>1</sup>، قال مجاهد: كل عاص فهو جاهل حين معصيته، وقال الحسن، وعطاء، والسدي: إنما سموا جهالا لمعاصيهم، لا أنهم غير مميزين<sup>2</sup>، وقال قتادة: "أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة، عمدا كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل"<sup>3</sup>، وقال الواحدي: "إن ذنب المؤمن جهل منه، والمعاصي والمعاصي كلها جهالة، ومن عصى ربه فهو جاهل"<sup>4</sup>.

### المطلب الرابع: الجهل بمعنى ضعف الإيمان

جاء الجهل في القرآن الكريم بمعنى الضعف، في موضعين من كتاب الله عز وجل، في قوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)<sup>5</sup>، وفي قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)<sup>6</sup>.

والجهل هنا هو ضعف الإيمان، والاستسلام للنفس الأمارة، أو الرضوخ أمام الشهوة، لا أن المراد عدم العلم بكونها معصية، لأن ذلك ليس ذنبا يستلزم الاستغفار، قال الرازي: "والمراد من قوله: (بِجَهَالَةٍ) ليس هو الخطأ والغلط، لأن ذلك لا حاجة به إلى التوبة، بل المراد منه، أن تقدم على المعصية بسبب الشهوة، فكان المراد منه بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنباً، ثم تاب منه توبة حقيقية، فإن الله تعالى يقبل توبته"<sup>7</sup>، وقال في موضع لاحق: "وأما

1 - سورة النساء، الآية 17.

2 - انظر، ابن الجوزي: زاد المسير، 37/2.

3 - البغوي: معالم التنزيل، 407/1.

4 - الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 256/1.

5 - سورة الأنعام، الآية 54.

6 - سورة النحل، الآية 119.

7 - الرازي: التفسير الكبير، 5/13.

المعصية فما لم تصر الشهوة غالبية للعقل والعلم لم تصدر عنه تلك المعصية، فثبت أن كل من عمل السوء فإنما يقدم عليه بسبب الجهالة<sup>1</sup>.

والذي يؤدي كون الجهالة هنا هو ضعف الإيمان: أن شبه الجملة هنا من موضع الحال، أي يعمل المعصية لحظة الضعف، قال البيضاوي: "(بجهالة): في موضع الحال أي ملتبساً بفعل الجهالة"<sup>2</sup>، وقال الألوسي: "في موضع الحال: أي ملتبسين بجهالة غير عارفين بالله تعالى وبعقابه، غير متدبرين في العواقب لغلبة الشهوة عليهم"<sup>3</sup>.

وقد بيّن الإمام النسفي أن الضعف هنا هو الهوى، لا المعصية، فهم عصوا ربهم لضعفهم أمام هوى نفسهم، لا لحبهم للمعصية، فقال: "أي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى"<sup>4</sup>.

#### المطلب الخامس: الجاهلية - بمعنى الفترة التي سبقت الإسلام -

استخدم القرآن الكريم مصطلح الجاهلية، في الحديث عن الفترة التي كانت قبل الإسلام، لأنهم كانوا على غير هدى من الله في جهلهم يتخبطون ، من أجل ذلك كان القرآن الكريم ينسب الصفات غير المتلائمة مع أحكام الإسلام ومبادئه إلى الجاهلية، ومن هذه الصفات:

#### أولاً: الظن السيئ بالله تعالى

نسب القرآن الكريم سوء الظن بالله، على أنه من صفات الجاهلية، في قوله تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)<sup>5</sup>، قال أبو السعود: "هو الظن المختص بالملة الجاهلية"<sup>6</sup>، وقال الألوسي: "أي ظن أهل الجاهلية، أي الشرك والجهل بالله تعالى، وهي اختصاصية حقيقية"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر السابق 107/20.

<sup>2</sup> - البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، (بيروت، دار الفكر)، 413/2.

<sup>3</sup> - الألوسي: روح المعاني، 249/14.

<sup>4</sup> - النسفي: : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، 275/2.

<sup>5</sup> - سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>6</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 101/2.

<sup>7</sup> - الألوسي: روح المعاني، 94/4.

وتأويل الجاهلية في هذا الموضوع بأنها ما قبل الإسلام هو قول الجمهور، كما قال ابن عطية: "ذهب جمهور الناس إلى أن المراد: مدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام"<sup>1</sup>.

والمراد من نسبة الظن إلى الجاهلية، هو تفسير المسلمين منه، ودعوتهم إلى تركه والابتعاد عنه، قال النسفي: "ظن أهل الجاهلية أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله"<sup>2</sup>.

### ثانياً: الحكم بغير ما أنزل الله

أنكر الله عز وجل في كتابه الكريم على اليهود، الذين رفضوا حكم الإسلام، ورضوا بحكم الجاهلية، القائم على السفور، والظلم، وذلك في قول الله عز وجل: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)<sup>3</sup>.

ذلك أن اليهود كانوا لا يعدلون في أحكامهم، بل كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، من أجل ذلك كانت الآيات توبيخاً لهم على صنيعهم، قال القرطبي: "والمعنى: أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء، فصار عوا الجاهلية في هذا الفعل"<sup>4</sup>.

فالآية توبيخ لهم على صنيعهم هذا، ولذلك قال أبو السعود: "(أفحكم الجاهلية يبغون) إنكار وتعجيب من حالهم، وتوبيخ لهم، والفاء للعطف على مُقَدَّرٍ يقتضيه المقام، أي يتولون عن حكمك، فيبغون حكم الجاهلية، وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب لأن التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم، وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب"<sup>5</sup>.

1 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 - 1413هـ - 1993م)، 528/1.

2 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، 186/1.

3 - سورة المائدة، الآية 50.

4 - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن ، (القاهرة، دار الشيعب)، 214/6.

5 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 47/3.

ولذلك أتبع الله عز وجل هذه الآيات بقوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)<sup>1</sup>، زيادة في توبيخهم، وبيان الخطأ في تصورهم واعتقادهم، قال الشوكاني: "ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) للإنكار أيضاً، أي لا أحسن من حكم الله عند أهل اليقين، لا عند أهل الجهل والأهواء"<sup>2</sup>.

### ثالثاً: التبرج وعدم الإحتشام

نهى الله عز وجل نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء المؤمنين عن التبرج، ونسب التبرج على أنه من صفات الجاهلية، وذلك في قول الله عز وجل: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)<sup>3</sup>.

وقد اختلف المفسرون في الجاهلية الأولى، قال ابن الجوزي " وفي الجاهلية الأولى أربعة أقوال. أحدها أنها كانت بين إدريس ونوح، وكانت ألف سنة رواه عكرمة عن ابن عباس، والثاني أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رضي الله عنها. والثالث: بين نوح وآدم قاله الحكم. والرابع: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي. قال الزجاج: وإنما قيل الأولى لأن كل متقدم أول وكل متقدمة أولى، فتأويله أنهم تقدموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>4</sup>. وقال الرازي: "وقوله تعالى: (الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) فيه وجهان: أحدهما: أن المراد من كان في زمن نوح، والجاهلية الأخرى من كان بعده، وثانيهما: أن هذه ليست أولى تقتضي أخرى، بل معناه تبرج الجاهلية القديمة، كقول القائل: أين الأكاسرة الجابرة الأولى"<sup>5</sup>.

وليس المقام هنا مقام تفصيل أو ترجيح، بل إن المراد هنا بيان أن الجاهلية في اصطلاح القرآن الكريم، قد تطلق على الذين عاشوا قبل مجيء الإسلام، سواء أكانوا أيام نوح، أم بعد ذلك، ولذلك قال الإمام النسفي: "أي الجاهلية القديمة"<sup>6</sup>.

1 - سورة المائدة، الآية 50.

2 - الشوكاني: فتح القدير، 48/2.

3 - سورة الأحزاب، الآية 33.

4 - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1404) ط3، 380/6.

5 - الرازي: التفسير الكبير، 181/25.

6 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 305/3.



والصفة المذمومة هنا هي التبرج، وهو: كشف الزينة، قال الشوكاني: "التبرج أن تبدي المرأة زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل"<sup>1</sup>، وقد يكون التبرج هنا هو: التكسر في المشي، والتعنج في الكلام. " قال مجاهد وقتادة: التبرج: هو التكسر والتعنج"<sup>2</sup>. وكلا الأمرين مذموم.

#### رابعاً: التعصب وعدم الإذعان للحق

نهى الإسلام عن التعصب والحمية، بل إن القرآن الكريم نسبها إلى الجاهلية، وذلك في قول الله عز وجل: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)<sup>3</sup>.

والحمية هي: الأنفة والامتناع عن الشيء غضباً، ومن الأنفة محمود ومذموم<sup>4</sup>، وهي هنا منبوذة، والحمية المنبوذة هنا: هي التي تعادي الإسلام، أو تتصادم مع مبادئه، عن الزهري قال: "كانت حميتهم التي ذكر الله: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) أنهم لم يقرّوا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت"<sup>5</sup>، وقال البيضاوي: "التي تمنع إذعان إذعان الحق"<sup>6</sup>.

والجاهلية هنا: هي جاهلية ما قبل الإسلام، لأن الآيات نزلت تنديداً كفار قريش، فقد روى ابن أبي حاتم، في سبب نزول هذه الآية: "كان حمزة بن عبد المطلب رجلاً حسن الشعر حسن الهيئة صاحب صيد، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على أبي جهل فولع به وآذاه، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه، فقالت إحداهما، لو علم ذا ما صنع بابن أخيه أقصر عن مشيته، فالتفت إليهما فقال: وما ذاك؟ قالت: أبو جهل فعل لمحمد كذا وكذا، فدخلته الحمية، فجاء حتى دخل المسجد وفيه أبو جهل، فعلا رأسه بقوسه ثم قال: ديني دين محمد إن

<sup>1</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 4/278.

<sup>2</sup> - البغوي: معالم التنزيل، 3/528.

<sup>3</sup> - سورة الفتح، الآية 26.

<sup>4</sup> - انظر، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: مختار الصحاح، (بيروت، مكتبة لبنان، 1995) 1/66، والسمعاني: تفسير القرآن، 5/205.

<sup>5</sup> - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 26/103.

<sup>6</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 5/207.

كنتم صادقين فامنعوني، فقامت إليه قريش فقالوا: يا أبا يعلى، فأُنزل الله (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) إلى قوله: (وألزمهم كلمة التقوى)<sup>1</sup>.

ونسبة الحمية إلى الجاهلية دلالة على مصدرها، فإن منشأ الحمية هو الجاهلية، قال أبو السعود: "(حمية الجاهلية): الحمية الناشئة من الجاهلية"<sup>2</sup>.

والحمية بحد ذاتها منبوذة، فكيف إذا ما أُضيفت إلى الجاهلية؟ فإن ذلك يزيدنا قبحا، قال الرازي: "الحمية في نفسها صفة مذمومة، وبالإضافة إلى الجاهلية تزداد قبحاً، وللحمية في القبح درجة لا يعتبر معها قبح القبائح كالمضاف إلى الجاهلية"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، 3301/10.

<sup>2</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 112/8.

<sup>3</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 88/28.

## المبحث الثالث

### نظائر كلمة الجهل في القرآن الكريم

كما أن القرآن الكريم استعمل لفظ (جهل) واشتقاقاتها صراحة، فقد استخدمها أيضا كناية أو بالتعريض، وذلك باستخدام ألفاظ تحمل بين ثناياها معنى الجهل، أو معنى مقارب منه، ومن هذه الألفاظ<sup>1</sup> :

#### أولا : الضلال

إن لفظ الضلال في القرآن الكريم يستعمل بمعنى الجهل كما يستعمل الجهل بمعناه، وذلك كما في قوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِهِمْ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)<sup>2</sup>

قال الألوسي " فعلتها وأنا من الضالين، فعلتها مقدا عليها من غير مبالاة على أن الضلال بمعنى الجهل المفسر بالاقدام من غير مبالاة"<sup>3</sup>. وقال صاحب نضرة النعيم "عرفنا أنه يأتي الضلال بمعنى الغواية ويأتي بمعنى الجهل وعدم العلم، ثم إن الله عز وجل يعطي العلم ويوفق من شاء لأن يعطيه العلم، والضلال الذي أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو عدم العلم بهذه الأمور التي علمه الله تعالى إياها وهذا الوحي الذي أوحى الله تعالى به إليه، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - انظر، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: الموسوعة الفقهية الكويتية، (مصر، مطابع دار الصفاة، ط1 - 1427هـ)، 198/16، مع توسع أكثر هنا.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، آية 164.

<sup>3</sup> - روح المعاني 71/ 19

<sup>4</sup> - حميد وملوح : (صالح بن عبدالله ، عبدالرحمن بن محمد) : موسوعة نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم (دار الوسيلة، جدة، 2006)، ط4، 4811 /10 .

## ثانياً: الغي

لقد ورد لفظ الغي في كتاب الله عز وجل بمعنى الجهل، كما في قوله تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى)<sup>1</sup> قال الآلوسي " وأصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل وغوى إذا بشم وفسدت معدته وجاء بمعنى الجهل من اعتقاد فاسد "<sup>2</sup>.

## ثالثاً: السفاهة

لقد ورد لفظ السفاهة بمعنى الجهل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ( وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67))<sup>3</sup>. فالسفاهة هنا بمعنى الجهل أو لوثة العقل<sup>4</sup>.

## رابعاً : الظلم

واستمراراً في عرض نظائر كلمة الجهل، نقف على لفظ الظلم. قال تعالى: ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ )<sup>5</sup>. فالظلم بمعنى الجهل و الركون إلى الهوى مقتضى الجبلة، قال البيضاوي: " ولأن الظلم بمعنى الجهل و الركون إلى الهوى مقتضى الجبلة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة النجم آية 2

<sup>2</sup> \_ روح المعاني 8 / 94

<sup>3</sup> \_ سورة الأعراف، الآيات (65\_67).

<sup>4</sup> \_ دروزة، محمد عزت : التفسير الحديث، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ-)، 418/2 .

<sup>5</sup> \_ سورة فاطر، آية 32 .

<sup>6</sup> \_ البيضاوي: 420/4 .

## خامساً: النسيان

والنسيان في القرآن الكريم قد يطلق ويراد به الجهل، كما في قول الله عز وجل: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)<sup>1</sup>، فالنسيان هنا بمعنى الجهل، قال ابن كثير: " أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، أو فعلنا حراماً كذلك، أو (أخطأنا): أي الصواب في العمل، جهلاً منا بوجهه الشرعي"<sup>2</sup>، وقال السمرقندي: "إن نسينا يعني إن جهلنا"<sup>3</sup>.

ولقوة ارتباط النسيان بمعنى الجهل، أسقط الحنابلة الأحكام المتعلقة بالجهل على النسيان، قال ابن قدامة: "وما عذر فيه بالجهل عذر فيه بالنسيان"<sup>4</sup>.

والنسيان والسهو والغفلة، كلها ذات معانٍ متقاربة، قال الهائم: "الغفلة والسهو والنسيان متقاربة"<sup>5</sup>، والرابط بينهم أن هؤلاء الثلاثة من أنواع الجهل البسيط، قال ابن النجار: "الجهل البسيط: سهو، وغفلة، ونسيان"<sup>6</sup>.

1 - سورة البقرة، الآية 286.

2 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، والمشهور بتفسير ابن كثير، (بيروت، دار الفكر، 1401هـ)، 343/1.

3 - السمرقندي: بحر العلوم، 214/1.

4 - ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (لبنان، بيروت، دار الفكر، ط1 - 1405هـ)، 391/1.

5 - الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري: التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، (مصر، دار الصحابة للتراث، ط1 - 1412هـ - 1992م)، 95/1.

6 - ابن النجار، شرح الكوكب المنير، 77/1.

## الفصل الثاني

### أصناف الجاهلية في القرآن الكريم

المبحث الأول: جاهلية العقيدة

المبحث الثاني: جاهلية الأخلاق والسلوك

المبحث الثالث: جاهلية العلم

## الفصل الثاني

### أصناف الجاهلية في القرآن الكريم

تنوعت أصناف الجاهلية في القرآن الكريم، وسأتحدث في هذا الفصل عن أصناف ثلاثة وهي: (جاهلية العقيدة، وجاهلية الأخلاق والسلوك، وجاهلية العلم).

#### المبحث الأول: جاهلية العقيدة

قال المناوي: "الاعتقاد: عقد القلب على الشيء، وإثباته في نفسه"<sup>1</sup>. وهذا العقد يؤول إلى استقرار الحكم في النفس، قال ابن حزم: "والاعتقاد: استقرار حكم ما في النفس، وقد يكون حقاً ويكون باطلاً، والعلم لا يكون إلا حقاً أبداً"<sup>2</sup>.

وقد تحدث القرآن الكريم عن جاهلية العقيدة، والتي ظهرت في المجتمعات، فبين أسبابها، وكشف اللثام عن مكنونها، وبيّن موقف الشارع منها، كل ذلك سنتناوله في مطالب خمسة، وهي: (جاهلية في الولاء والبراء، جاهلية عدم إفراد الله بالعبادة، جاهلية سوء الأدب مع الله، جاهلية عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، جاهلية الإصرار على الكفر).

#### المطلب الأول: جاهلية في الولاء والبراء

الولاء بمعنى النصر والمحبّة، قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)<sup>3</sup>، قال الرازي: "الولاية: بمعنى النصر والمحبّة"<sup>4</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أصل الولاية: الحب"<sup>5</sup>، وقال

<sup>1</sup> - المناوي: التعاريف، 75/1.

<sup>2</sup> - ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2 - 1987م)، 413/4.

<sup>3</sup> - سورة المائدة، الآية 55.

<sup>4</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 26/12.

<sup>5</sup> - ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحلیم الحراني: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، ط2)، 478/6.

الدكتور نعيم ياسين: "الولاء في الله تعالى هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم"<sup>1</sup>.

فولاية المؤمن هي: محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم، وما يلحق بذلك من حقوق المؤمنين<sup>2</sup>.

والبراء عكس الولاء، ومعناه العداوة والبغض، قال الشيخ القحطاني: "البراء: هو البعد والخلص والعداوة بعد الإعذار والإنذار"<sup>3</sup>.

وقد تحدث القرآن الكريم عن جاهلية الناس في هذين الأصلين العظيمين، وذلك في قول الله عز وجل: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ)<sup>4</sup>، "قال ابن بحر<sup>5</sup>: حميتهم: عصبيتهم لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، والأنفة من أن يعبدوا غيرها"<sup>6</sup>.

فالأصل أن تكون الحمية لله، وأن تكون الموالاتة في الله، وأن يكون البغض من أجل الله، إلا أن الكافرين جعلوها في غير ذلك، بل وعادوا أولياء الله، قال الطبري في تأويل الآية: "جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول

<sup>1</sup> - ياسين، محمد نعيم: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، (مصر، الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع)، ص187 - 188.

<sup>2</sup> - انظر، الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز: تسهيل العقيدة الإسلامية، (دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2)، 543/1.

<sup>3</sup> - القحطاني، محمد بن سعد: الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، (المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، دار طيبة، ط6 - 1413هـ)، ص90.

<sup>4</sup> - سورة الفتح، الآية 26.

<sup>5</sup> - هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، معتزلي من كبار الكتاب، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر، وكان كاتباً بليغاً، متكلماً جدلاً، ولد سنة أربع وخمسين ومائتين، ومات في آخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، انظر، ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1411هـ - 1991م)، 239/5.

<sup>6</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 289/16.



الله صلى الله عليه وسلم والمشركون: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وأن يكتب فيه: (محمد رسول الله)، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عامه ذلك<sup>1</sup>.

هذه هي حمية الجاهلية، حمية قائمة على الكفر بالله، والتكبر على أوليائه، وصددهم عن سبيل الله، مع أنهم يعلمون يقينا أنهم على حق، قال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)<sup>2</sup>، قال سيد قطب: "حمية لا لعقيدة، ولا لمنهج؛ إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت، الحمية التي جعلتهم يقفون في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه، يمنعونهم من المسجد الحرام، ويحبسون الهدى الذي ساقوه، أن يبلغ محله الذي ينحر فيه، مخالفين بذلك عن كل عرف وعن كل عقيدة"<sup>3</sup>.

والجاهلية في هذا الموضع كفر صراح، لأن الله عز وجل ابتدأ الآية بقوله: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا)، فهي صفة للكافرين، ومن صنيعهم، قال السعدي: "وهذه الأمور ونحوها، من أمور الجاهلية، لم تنزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت، من كثير من المعاصي"<sup>4</sup>.

وبين الإمام الطبري، والسمرقندي أن هذا الفعل - الحمية لغير الله عز وجل ودينه وأهله جحد بوحدانية الله، قال الطبري: "هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام"<sup>5</sup>.

وقد قابل الله عز وجل جاهلية كفار قريش بقوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)<sup>6</sup>، وفي هذا دلالة على أن الجاهلية هي عدم الالتزام بكلمة التوحيد، قال الرازي: "قال الله تعالى أنزل في

<sup>1</sup> - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 103/26.

<sup>2</sup> - سورة النمل، الآية 14.

<sup>3</sup> - قطب، سيد، إبراهيم حسن الشاربي: في ظلال القرآن، (لبنان، بيروت، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط17 - 1412هـ)، 6/3329.

<sup>4</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 795/1.

<sup>5</sup> - الطبري: جامع البيان ، 95/26. وانظر : السمرقندي : بحر العلوم ، 302/3.

<sup>6</sup> - سورة الفتح ، آية 25.

مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته، حتى لم يغضبوا، ولم ينهزموا، بل يصبروا، وهو بعيد في العادة، فهو من فضل الله تعالى<sup>1</sup>.

وكلمة التقوى هنا هي: (لا إله إلا الله)، كما روي مرفوعاً من حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>، وهو قول علي، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، والضحاك، وسلمة بن كهيل، وعبيد بن عمير، وطلحة بن مصرف، والربيع، والسدي، وابن زيد، وعطاء الخرساني<sup>3</sup>.

وفي هذا دلالة على أن الولاء لغير الإسلام كفر، وقد ذم الإسلام الولاء لغير الإسلام، وجعل الحمية مناعة فقط بنصرة دين الله، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الحمية لأي شيء ما عدا الإسلام، وذلك في قصة أبي ذر رضي الله عنه، لما قال في واحد من أفاضل الصحابة من السابقين الأولين إلى الإسلام: يا ابن السوداء، فقال له صلى الله عليه وسلم: (أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)<sup>4</sup>.

فتعبير الشخص بشيء كهذا، إنما هو من أمور الجاهلية، وليس كل من كانت فيه خصلة من خصال الجاهلية يكون كافراً، بل الخصال التي تتصادم مع عقيدة المؤمن هي التي تكون كذلك، ولذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر (إنك جاهلي)، بل قال له: (فيك جاهلية).

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 89/28.

<sup>2</sup> - روي عن الطفيل بن أبي كعب، عن أبيه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1421هـ - 2001م)، مسند الأنصار، حديث الطفيل بن كعب عن أبيه، حديث 21255، 176/35، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وأخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، أبواب تفسير القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، حديث 3265، 386/5، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة قال وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

<sup>3</sup> - انظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 289/16.

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغاء، (بيروت) اليمامة: دار ابن كثير، ط3، (1407هـ-1987م)، باب المعاصي من أمن الجاهلية ولا يكفر صاحبها بإرتكاب... حديث 20/1030، ومسلم أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت)، دار إحياء التراث العربي، باب اطعام الملوك مما أكل وألبسه مما يلبس حديث 3، 1282/1661.

فحمية الجاهلية مذمومة، ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار حصل بينه وبين رجل من المهاجرين في بعض الغزوات، اقتتال ونزاع، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، كل واحد منهم دعا قومه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها منتنة)<sup>1</sup>.

فالحاصل: أن أمور الجاهلية كلها مذمومة، ونهينا عن التشبه بأهل الجاهلية في كل الأمور، والجاهلية<sup>2</sup> انتهت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فالتمسك بشيء من آثارها يتنافى مع ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل، يقول سيد قطب: "جاء - أي الإسلام - ليربط القلوب بالله، وليربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله، جاء ليخرج العرب - ويخرج البشرية كلها - من حمية الجاهلية، ونعرة العصبية، وضغط المشاعر والانفعالات الشخصية والعائلية والعشائرية في مجال التعامل مع الأصدقاء والأعداء"<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: جاهلية عدم أفراد الله بالعبادة

تحدث القرآن الكريم عن إشراك غير الله عز وجل معه في العبادة، بوصفها نوعاً من أنواع الجهالة، ووصف المشركين بالجاهلين، وذلك في قول الله عز وجل: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)<sup>4</sup>.

فبنو إسرائيل طلبوا من نبيهم موسى عليه السلام، أن يتخذ لهم عجلاً يعبدوه مع الله عز وجل، كما يعبدونه القوم الذين مروا بهم، فرد نبي الله موسى بقوله: (إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)، قال الرازي: "بين - سبحانه - أن بني إسرائيل لما شاهدوا قوماً يعكفون على عبادة أصنامهم، جهلوا

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قوله تعالى (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة. .) حديث 4622، 1861/4، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً حديث 2584، 1998/4.

<sup>2</sup> - نقصد بالجاهلية هنا: زمان الفترة قبل الإسلام، أي قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 839/2.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف، الآية 138.

وارتدوا ، وقالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، ولا شك أن القوم لما شاهدوا المعجزات الباهرة التي أظهرها الله تعالى لموسى على فرعون، ثم شاهدوا أنه تعالى أهلك فرعون وجنوده، وخص بني إسرائيل بأنواع السلامة والكرامة ثم إنهم بعد هذه المواقف والمقامات يذكرون هذا الكلام الفاسد الباطل كانوا في نهاية الجهل وغاية الخلف"<sup>1</sup>.

فالجهل الذي وصف به موسى عليه السلام بني إسرائيل في هذا الموضع، جهل مطبق يشمل الجهل بالربوبية، لأن الواقعة التي وُصفوا بالجهل على إثرها تثبت أن هؤلاء القوم كانوا فعلاً جاهلين بربهم، قال الألوسي: "تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعد ما شاهدوه من الآيات الكبرى والبينة العظمى فوصفهم بالجهل على أتم وجه، حيث لم يذكر له متعلقاً ومفعولاً لتتزيله منزلة اللازم، أو لأن حذفه يدل على عمومته، أي تجهلون كل شيء، فيدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى، وأكد ذلك بأنّ، وتوسيط قوم ، وجعل ما هو المقصود بالأخبار وصفاً له ليكون كالمتحقق المعلوم"<sup>2</sup>.

فجهلهم هنا من أشد أنواع الجهل، لأن القوم أرادوا الإشراف بالله عز وجل، وهو المتكرم عليهم بالنجاة، وهو المظهر لهم من أنواع الدلائل ما يتحرك على إثرها الجماد، قال أبو السعود: "هذا إثر ما شاهدوا من الآيات الكبرى، والمعجزة العظمى، فوصفهم بالجهل المطلق، إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم"<sup>3</sup>.

فهذه الآيات جاءت لتؤكد انحراف هؤلاء القوم عن عقيدة نبيهم السليمة، وجاءت لتؤكد مدى سفاهة بني إسرائيل، وتكرهم للجميل بعد أن أنجاهم الله عز وجل من فرعون وجنوده، ثم هم يعبدون غيره، قال سيد قطب: "فهذه النصوص القرآنية في القصة، تثبت حقيقة الدين الذي جاء به موسى عليه السلام، وحقيقة التصور الاعتقادي الذي تنشئه هذه الحقيقة، وهو التصور الصحيح الذي جاء به الإسلام، وتضمنه دين الله في جميع الرسالات، كما أنها تثبت زيف

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 181/14-182.

<sup>2</sup> - الألوسي: روح المعاني، 41/9.

<sup>3</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 267/3.

النظريات والتكهنات التي يدلي بها الباحثون في تاريخ الأديان من الغربيين، ومن يأخذ بمنهجهم وتقريراتهم ممن يكتبون عن تطور العقيدة! كذلك تثبت هذه النصوص ألوان الانحراف التي صاحبت تاريخ بني إسرائيل وجبلتهم الملتوية -حتى بعد بعثة موسى عليه السلام - ذلك من مثل قولهم: (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، ومثل اتخاذهم العجل في غيبة موسى على الجبل لميقاته مع ربه! ومثل طلبهم رؤية الله جهرة وإلا فإنهم لا يؤمنون! ولكن هذه الانحرافات لا تمثل حقيقة العقيدة التي جاء بها موسى من ربه، إنما هي انحرافات عن هذه العقيدة؛ فكيف تحسب الانحرافات إذن على العقيدة ذاتها؟ ويقال: إنها (تطور) إلى التوحيد؟! كذلك تكشف مواجهة موسى لفرعون وملئه عن حقيقة المعركة بين دين الله كله وبين الجاهلية كلها<sup>1</sup>.

وقد أكد الله عز وجل جهل بني إسرائيل، بأن أتبع الحكم عليهم بالجهل بقوله: (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)<sup>2</sup>، قال الألوسي: "أي ما استمروا على عمله من عبادتها، وإن قصدوا بذلك التقرب إلى الله تعالى، وأن المراد أن ذلك لا ينفعهم أصلاً...، والجملة تعليل لإثبات الجهل المؤكد للقوم"<sup>3</sup>.

ولو كان بنو إسرائيل يعلمون عظمة الله عز وجل، لما طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه غير الله، فجهلهم بالله عز وجل جهل عظمة وقدر، قال ابن كثير: "(إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): أي تجهلون عظمة الله، وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل"<sup>4</sup>.

وقد أكد القرآن الكريم إطلاق سمة الجاهالة على المشركين، وذلك في قول الله عز وجل: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)<sup>5</sup>. حينما طلب كفار قريش من نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يعبد بعض آلهتهم، ويعبدوا هم إلهه، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات تنديداً بهم، قال ابن كثير: "عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المشركين من جهلهم دعوا

1 - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 3/1330.

2 - سورة الأعراف، الآية 139.

3 - الألوسي: روح المعاني، 9/41.

4 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 2/244.

5 - سورة الزمر، الآية 64.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه، فنزلت: (قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ❁ ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)<sup>1</sup>.

ووصفهم بالجهل في هذه الآيات، دلالة إلى عدم معرفة المشركين بالله عز وجل، وعظمتهم، وقدرته، وسلطانه، قال السمعاني في تفسير هذه الآية: "أي: الجاهلون بالله وسلطانه وقدرته وعظمتهم"<sup>2</sup>.

وهذا الأمر صادر عن جهل، لأنهم لو علموا أن الله عز وجل المستحق وحده للعبادة، لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبد غيره، بل لعبدوه هم مع محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم جهلوا هذا الأمر، فاستحقوا وسام الجهل، قال السعدي: "هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى، الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجه، لا ينفع، ولا يضر، لم تأمروني بذلك. وذلك لأن الشرك بالله، محبط للأعمال، مفسد للأحوال"<sup>3</sup>.

وهذا النوع من الشرك هو أعظم أنواع الجهل، وقد أطلق عليه العلماء اسم: (شرك الجاهلية)، قال الإمام القرطبي: "الشرك على ثلاث مراتب، وكله محرم، وأصله: اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)<sup>4</sup>.

ووصف المشركين في هذا الموضع بالجهل أمر لائق تماماً لحالهم؛ لأنهم بعد أن علموا صفات الإله الحق، عبدوا جمادا لا ينفع ولا يضر، قال الرازي: "وصفهم بالجهل لأنه تقدم

1 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 62/4.

2 - السمعاني: تفسير القرآن، 479/4.

3 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 729/1.

4 - سورة النساء، الآية 48.

5 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 181/5.

وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء وبكونه مالكاً لمقاليده السموات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: (أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: جاهلية سوء الأدب مع الله عز وجل

تحدث القرآن الكريم عن سوء الأدب مع الله عز وجل، بوصفه سمة من سمات الجاهلية، وجعل القرآن الكريم المجتمع الذي يسيء الأدب مع ربه مجتمعاً جاهلياً، والشخص الذي يتعدى حدود الأدب مع ربه، هو شخص جاهلي، وذلك في قول الله عز وجل: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)<sup>2</sup>.

وقد ضرب القرآن الكريم في هذا الموضع مثالا على سوء الأدب مع الله عز وجل، وهو سوء الظن بالله عز وجل.

قال الألوسي: "ظن أهل الجاهلية: أي الشرك والجهل بالله تعالى، وهي اختصاصية حقيقية"<sup>3</sup>، وقال سيد قطب: "هم لا يعرفون الله على حقيقته، فهم يظنون بالله غير الحق، كما تظن الجاهلية، ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه - سبحانه - مضيعهم في هذه المعركة، التي ليس لهم من أمرها شيء، وإنما دفعوا إليها دفعاً ليموتوا ويجرحوا، والله لا ينصرهم ولا ينقذهم إنما يدعهم فريسة لأعدائهم"<sup>4</sup>.

فالمنافقون قد ظنوا بالله ظنا لا يليق بجلاله سبحانه، المنزه عن كل عيب، المتصف بصفات الجلال والكمال، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات، قال ابن كثير: "(يظنون بالله غير الحق ظن

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 12/27.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>3</sup> - الألوسي: روح المعاني، 94/4.

<sup>4</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 496/1.

الجاهلية) أهل شك وريب في الله عز وجل"<sup>1</sup>، وقال البيضاوي: "يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به"<sup>2</sup>.

والإسلام قد شدد في تحذيره من سوء الظن، فقد ورد النهي في القرآن الكريم عن إساءة الظن، قال جل في علاه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ) <sup>3</sup>، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَاكُمُ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"<sup>4</sup>، قال ابن الجوزي: "والظن على أربعة أضرب: محذور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه، فأما المحذور فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب حسن الظن بالله"<sup>5</sup>.

فسوء الظن بالله عز وجل، من الأمور المحظورة في شرعنا، بل دلت الآيات على أن سوء الأدب مع الله عز وجل من صفات الكفار، قال ابن عطية: "(ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ): إخبارا عما يخفونه من الكفر الذي لا يقدر أن يظهر منه أكثر من هذه النزعات، وأخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين، وهذه كانت سنته في المنافقين"<sup>6</sup>، وقال النسفي: "(ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) الظن المختص بالملة الجاهلية، أو ظن أهل الجاهلية، أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله"<sup>7</sup>.

#### المطلب الرابع: جاهلية عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، والتسليم لهما

تحدث القرآن الكريم عن صنف آخر من جاهلية العقيدة، وهو عدم الإيمان بالقضاء والقدر، والتسليم لهما، وذلك في قول الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى

<sup>1</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، 419/1.

<sup>2</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 105/2.

<sup>3</sup> - سورة الحجرات، الآية 12.

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لَأَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكَحَ أَوْ يَدَعُ، حديث 4849، 1976/5، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّاجُسِ وَنَحْوَهَا، حديث 2563، 1985/4.

<sup>5</sup> - ابن الجوزي: زاد المسير، 469/7.

<sup>6</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 258/1.

<sup>7</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 186/1.



وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ  
يَجْهَلُونَ<sup>1</sup>.

فالكفار يجهلون حقيقة أن أمور الخلق بيد الله، وأن علمه سابق قديم، ولذلك فسّر أهل السنة  
والجماعة الجهالة هنا بجهالة القضاء والقدر، قال الرازي: "قال أصحابنا<sup>2</sup> : المراد، يجهلون بأن  
الكل من الله وبقضائه وقدره"<sup>3</sup>، وقال الألوسي: "واستدل أهل السنة بالآية على أن الله تعالى يشاء  
يشاء من الكافر كفره وقرر ذلك بأنه سبحانه لما ذكر أنهم لا يؤمنون إلا أن يشاء الله تعالى  
إيمانهم دل على أنه جل شأنه ما شاء إيمانهم بل كفرهم"<sup>4</sup>.

ويشار هنا إلى أن العلماء اختلفوا<sup>5</sup> في معنى الآية، وفيمن هو المقصود منها؟ المسلمون أو  
أو الكافرون، إلا أن سياق الآيات يدل على أن المقصود بذلك هم الكفار، لأن الحديث في الآية  
عن ترك الإيمان، وعن العناد، قال ابن عطية: "(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ): الضمير عائد إلى  
الكفار"<sup>6</sup> وقال أبو السعود: "ولكن أكثر المشركين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات،  
لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ، فيقسمون بالله جهد إيمانهم على ما لا يكاد يكون"<sup>7</sup>.

والذي يدل على أن الآيات تتحدث عن الكفار، أن الله عز وجل ذكر فيها: (مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، قال ابن كثير: "أي أن الهداية إليه لا إليهم، بل يهدى من يشاء ويضل من  
يشاء، وهو الفعال لما يريد، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)<sup>8</sup> لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره  
وقهره وغلبته، وهذه الآية كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ  
جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)<sup>9,10</sup>.

1 - سورة الأنعام، الآية 111.

2 - أي أهل السنة والجماعة

3 - الرازي: التفسير الكبير، 125/13.

4 - الألوسي: روح المعاني، 4/8.

5 - انظر، الطبري: جامع البيان، 1/8.

6 - ابن عطية: المحرر الوجيز، 335/2.

7 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 175/3.

8 - سورة الأنبياء، الآية 23.

9 - سورة يونس، الآية 96.

10 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 166/2.

فآيات الكريمة تناقش وتحاجج المشركين، الذين أنكروا القدر، وأهملوا ربط الأمور ابتداء بإرادة الله عز وجل وعلمه، فتبين لهم الآيات أن الدنيا كلها مرتبطة بمشيئة الله عز وجل وإرادته، وأن المعجزات، والأمور التي يطلبونها ليست في الحقيقة لطلب الهداية، بل من أجل العناد، قال السمعاني: "وفي الآية دليل واضح على أهل القدر"<sup>1</sup>، وقال الإمام سيد قطب: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي؛ لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوففته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضلته"<sup>2</sup>.

والإيمان بالقدر أمر فطري، والعرب في جاهليتها وإسلامها لم تكن تنكر القدر، وإثبات العرب قديما للقدر، أمر ثابت في ثنايا أشعارهم وخطبهم، فقد امتلأت دواوينهم بأبيات فيها تسليم لله عز وجل بالقدر، يكفينا من ذلك قول عنتره<sup>3</sup>:

يا عبلُ أينَ من المنيّةِ مهربي      إن كانَ ربي في السّماءِ قضاها

وقول زهير بن أبي سلمى<sup>4</sup> :

فلا تكتمنَ الله ما في صدوركم ليخفيَ ومهما يكتم الله يعلم  
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وفي خطبهم أيضا دلالات واضحة على إيمانهم بالقضاء والقدر، وتسليمهم بذلك لله رب العالمين، حتى إنهم قالوا قديما: **إن الحذر لا يُنجي من القدر**<sup>5</sup>.

فهم يثبتون القدر ولا ينكرونه، وإن كان هذا الإثبات قد يشوبه بعض التخبط والجهل في فهم حقيقة القدر، من أجل ذلك وصفهم القرآن الكريم في هذا الموضوع بالجاهلين، وكل الأعمال التي

<sup>1</sup> - السمعاني: تفسير القرآن، 2/137.

<sup>2</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 3/1187-1188.

<sup>3</sup> - عنتره بن شداد: ديوان عنتره بن شداد، (بلا طبعة ولا دار نشر)، 1/225.

<sup>4</sup> - القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (بيروت، دار الأرقم)، 1/92. ديوان زهير بن

أبي سلمى، شرحة: علي حسن فاعور، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988)، ط1، ص4، 107.

<sup>5</sup> - صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، (بيروت، المكتبة العلمية)، 1/37.

ذمها للإسلام، ونسبها إلى الجاهلية، من شق الجيوب، ولطم الخدود، والنياحة، وحلق الشعر، والدعاء بالويل والثبور، وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى التي تنافي الإيمان بالقدر، والتسليم لله عز وجل، أكبر دليل على ذلك<sup>1</sup>، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم سمّاها بدعوى الجاهلية، فقال: "ليس منّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"<sup>2</sup>، وفي رواية الإمام مسلم: (بدعوى أهل الجاهلية)<sup>3</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ذم تلك الأمور لأنها من رواسب الجاهلية، والتي ظل بعض المسلمين يقعون فيها حتى بعد مجيء الإسلام، قال ابن تيمية: "ذم في الحديث من ادعى بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمور الجاهلية لا يتركه الناس ذمّا لمن يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إليها خرج مخرج الذم"<sup>4</sup>.

### المطلب الخامس: جاهلية الإصرار على الكفر

لما كان أهل الجاهلية يعلمون حقا صدق النبي الذي بعثه الله عز وجل فيهم، إلا أنهم عاندوا، وتكبروا، ورفضوا الحق الذي أرسل إليهم، من أجل ذلك ذكر القرآن الكريم نوعا من جاهليتهم، وهي جاهلية الإصرار على الكفر، فقال تعالى: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)<sup>5</sup>.

فهم كانوا يعلمون أن الذي أرسل إليهم رسول حقا، وأنه صادق في دعواه، إلا أنهم أصروا على كفرهم، ورفضوا الانضمام معه في ركبته، من أجل ذلك وصفهم الله عز وجل بأنهم قوم

<sup>1</sup> - انظر، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: الكبائر، (بيروت، دار الندوة الجديدة)، 183/1.

<sup>2</sup> - البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منّا من شقّ الجيوب، حديث 1232، 435/1.

<sup>3</sup> - مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشقّ الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، حديث 103، 99/1.

<sup>4</sup> - ابن تيمية، نقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الدمشقي: إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، (بيروت، دار عالم الكتب، 1999م) ط7، 235 / 1 .

<sup>5</sup> - سورة الأحقاف، الآية 23.

يجهلون، قال الشوكاني: "(وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) حيث بقيتم مصرين على كفركم، ولم تهتدوا بما جئتم به، بل اقترحتم عليّ ما ليس من وظائف الرسل"<sup>1</sup>.

فقوم هود طلبوا من رسولهم ما ليس من وظيفته، واستعجلوا العذاب مع أنه لا يستطيع فعل شيء أكثر من التبليغ، فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآيات للدلالة على أنهم طلبوا تلك الآيات إعراضاً عن الحق، وإصراراً على الباطل، قال البغوي: "(وَأُبَلِّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ): أي مرشدكم حين أدلكم على الرشاد، وأنتم تعرضون"<sup>2</sup>.

فيا لحماقتهم؛ نبي يدلهم على الحق والهداية، ثم هم يجعلون المسألة بينهم وبينه مسألة عداوة، بل ولجهلهم وحماقتهم يظنون أن إصرارهم على كفرهم - مع علمهم بأنه باطل - قهر للرسول، ولكن هيهات هيهات، "وأية حماقة، وأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح، والأخ القريب بمثل هذا التحدي والتكذيب؟"<sup>3</sup>.

### المطلب السادس : جاهلية التحاكم لغير الله

تحدث القرآن الكريم عن جاهلية التشريع، بذكر رأس الهرم فيها، وهو جاهلية التحاكم إلى شريعة غير الله عز وجل، وذلك في قول الله عز وجل: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)<sup>4</sup>.

والتحاكم إلى غير شريعة الإسلام، هو رأس الجهل بالتشريع، لأن التشريع حق خالص لله وحده، من نازعه في شيء منه فهو مشرك، قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)<sup>5</sup>، قال السعدي: "إن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد،

1 - الشوكاني: فتح القدير، 23/5.

2 - البغوي: معالم التنزيل، 997/2.

3 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 3266/6.

4 - سورة المائدة، الآية 50.

5 - سورة الشورى، الآية 21.

ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد، أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله ولا عن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وآباؤهم على الكفر<sup>1</sup>.

وقدر ربط القرآن الكريم مسألة الحاكمية بالإيمان، فجعل تطبيق الشريعة شرطاً للإيمان، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)<sup>2</sup>، قال ابن كثير: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهراً"<sup>3</sup>.

وحكم الجاهلية الذي تحدثت عنه الآيات، جاء في مقابلة حكم الله عز وجل، لأن حكم الله عز وجل قائم على العدل، بينما حكم الجاهلية قائم على الظلم، قال السعدي: "أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك، حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله، فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول، ابتلي بالثاني المبني على الجهل، والظلم، والغى، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى، فمبني على العلم، والعدل، والقسط، والنور، والهدى"<sup>4</sup>.

ولا سبيل إلي بيان زيف الجاهلية إلا بإدراك حقيقة الإسلام، يقول الأستاذ محمد قطب: "إن الإسلام هو الذي يعطي الوضع الصحيح لكل ما انحرفت به الجاهلية، في التصور والسلوك، في السياسة والاجتماع والاقتصاد، في الأخلاق والفن وعلاقات الجنسين، وكل شيء في حياة الإنسان"<sup>5</sup>.

من أجل ذلك ختم الله عز وجل آية سورة المائدة السابقة بقوله: (لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، أي يعلمون حقيقة الإسلام، ويدركون زيف غيره، قال السعدي: "هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز

1 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 757/1.

2 - سورة النساء، الآية 65.

3 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، 521/1.

4 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 235/1.

5 - قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين، ص203.

بإيقانه ما في حكم الله، من الحسن والبهاء، وأنه يتعين عقلاً وشرعاً اتباعه. واليقين، هو: العلم التام، الموجب للعمل<sup>1</sup>، وقال الرازي: "وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم هم الذين يعرفون أنه لا أحد أعدل من الله حكماً، ولا أحسن منه بياناً"<sup>2</sup>.

وإذا كان الله عز وجل قد وصف المتحاكمين إلى شريعته، الراضعين لشرعه، بأنهم (قوم يوقنون)، فإنه قد وصف المتحاكمين لغير ما أنزل بثلاثة أوصاف، وكل صفة تختلف عن أختها، والفرق بين الأوصاف الثلاث هو الاعتقاد، وهذه الصفات هي:

أولاً: وصفهم بالكفر: فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)<sup>3</sup>. وذلك في قوم اعتقدوا أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من لم يحكم جاحداً فهو كافر، وإن لم يكن جاحداً فهو فاسق ظالم"<sup>4</sup>.

وقال ابن تيمية: "ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله، فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر.

ثانياً: وصفهم بالظلم: فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>5</sup> وذلك في قوم تركوا حكم الله غير مقدمين غيره عليه، بل لاعتبارات أخرى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق"<sup>6</sup>، قال السعدي: "هو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له"<sup>7</sup>. وهذا الوصف أقل خطورة من الكفر، إلا أنه لا يتهاون فيه.

<sup>1</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 235/1.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 14/12.

<sup>3</sup> - سورة المائدة، الآية 44.

<sup>4</sup> - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 257/6، وابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم، 1142/4.

<sup>5</sup> - سورة المائدة، الآية 45.

<sup>6</sup> - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 256/6.

<sup>7</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 233/1.

ثالثاً: وصفهم بالفسق: فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>1</sup>. وذلك في قوم من المسلمين، أخذوا من الدين العبادات، وتركوا التشريع، لا تجزيئاً لدين الله، بل لقصور فهمهم في شمولية الدين، فهم بفعلهم هذا مالوا عن الحق لا خرجوا منه، قال ابن كثير: "هم الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق"<sup>2</sup>، وقال الرازي: "(الكافرون، والظالمون، الفاسقون): الأول: في الجاحد، والثاني والثالث: في المقر التارك"<sup>3</sup>.

أقول: مادام الله عز وجل قد وصف الحاكمية إلى غيره بأنها جاهلية، فإننا وبكل أسف نعيش الآن في حياة جاهلية، لأن الله عز وجل يأمرنا أن نتحاكم إلى شرعه، ومن الناس من يسعى وراء حكم الطاغوت، فحقَّ عليهم قول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)<sup>4</sup>، قال ابن كثير: "فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر"<sup>5</sup>.

ومادام الأمر كذلك؛ فإننا اليوم نعيش في جاهلية خواء، منزوعة الإيمان، مغيبة لأحكام الإسلام، لعدم تحكيمنا شرع ربنا سبحانه، حتى بدا ذلك ملموساً في حياتنا العامة، من معاملات، وتشريعات، وقوانين، قال الشيخ أحمد شاكر: "وقد وقع المسلمون في هذه العصور الأخيرة فيما نهاهم الله عنه، من طاعة الذين كفروا، فأسلموا إلى الكفار عقولهم وألبابهم، وأسلموا إليهم - في بعض الأحيان - بلادهم، وصاروا في كثير من الأقطار رعية للكافرين من الحاكمين...، ثم عم

<sup>1</sup> - سورة المائدة، الآية 47.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 66/2.

<sup>3</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 10/12.

<sup>4</sup> - سورة النساء، الآية 60.

<sup>5</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 519/1.

البلاء، فظهر حكام كثير من البلاد الإسلامية، يدينون بالطاعة للكفار - عقلا وروحا وعقيدة- ، واستذلوا الرعية من المسلمين، وبنوا فيهم عداوة الإسلام بالتدريج، حتى كانوا يردوهم على أعقابهم خاسرين، وما أولئك بالمؤمنين<sup>1</sup>.

ومفرق الطريق في ديننا هو مسألة التحكيم، لأن التحكيم تطبيق عملي لتقديم الشريعة على غيرها، وديننا الإسلامي هو دين حياة وحركة، قال سيد قطب: "إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله...، إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام، والناس - في أي زمان وفي أي مكان - إما أنهم يحكمون بشريعة الله - دون فتنة عن بعض منها - ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً، فهم إذن في دين الله، وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر - في أي صورة من الصور - ويقبلونها، فهم إذن في جاهلية، وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله، والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية، وهذا مفرق الطريق، يقف الله الناس عليه، وهم بعد ذلك بالخيار! ثم يسألهم سؤال استنكار لابتنائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله<sup>2</sup>.

وإذا ما سلمنا لهذا الأمر، وأهمنا شرع الله عز وجل بين أظهرنا، فإن الجزاء الذي لحق بأهل الكتاب من يهود ونصارى، سوف يحل بنا، لأنهم آمنوا بشرعهم، إلا أنهم غيبوه عن واقعهم، قال الأستاذ أحمد شاکر: "ومما يملأ القلب ألماً وحرزاً: أن صار أكثر الأمم التي تنتسب إلى الإسلام إلى هذا الوصف المكروه، وقعوا في مثل هذا العمل الذي ذم الله اليهود من أجله، وجعل جزاء من يفعله خزياً في الحياة الدنيا، ورداً في الآخرة إلى أشد العذاب، فنرى أكثر الأمم

1 - شاکر، أحمد: حكم الجاهلية، (مكتبة السنة، ط1 - 1992م)، ص207.

2 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 904/2.



المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن، ويشهدون له بذلك، ويعرفونه، ويزعمون القيام بأمره، ثم هم يخالفونه في التشريع في شؤونهم المالية، والجنائية، والخلقية، ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه، وتشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه لا يوافق العصر، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاؤوا، وافق الكتاب والسنة أم خالفه، ويصطفون قوانين أوروبية الوثنية الملحدة، ويشربونها في قلوبهم، يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أنزل إليهم من ربهم، ولا يتعظون بما أنذرهم به ربهم من المثل بالأمم قبلهم"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - شاكراً، أحمد: حكم الجاهلية، ص 67-68.

## المبحث الثاني

### جاهلية الأخلاق والسلوك

الصف الثاني الذي تحدث عنه القرآن الكريم بوصفه أنه من أمور الجاهلية، هو جاهلية الأخلاق والسلوك، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الجاهلية وقد قسمت الحديث عنها إلى أربعة مطالب: (جاهلية التكبر على الآخرين، جاهلية الانحراف عن الفطرة، جاهلية معاداة أهل الحق، جاهلية التبرج والسفور).

#### المطلب الأول: جاهلية التكبر على الآخرين

الكِبْر: هو أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، فيتعالى على الحق والخلق<sup>1</sup>، قال العيني: "التكبر: هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظم، ذلك أن يتكبر على ربه؛ بأن يمتنع من قبول الحق، والإذعان له بالتوحيد والطاعة"<sup>2</sup>.

تحدث القرآن الكريم عن الكبر واصفا إياه بأنه جاهلية، وذلك في قول الله عز وجل: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)<sup>3</sup>. فقوم نوح عليه السلام لما رأوا أن أتباعه من الضعفاء، استكبروا أن يتبعوه معهم، وقالوا كما ذكر القرآن الكريم عنهم: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)<sup>4</sup>.

قال سيد قطب مبينا الدافع من وراء طلب هؤلاء الملأ من النبي أن يطرد الضعفاء، قال: "لأنهم يستنكفون أن يلتقوا عنده بالأراذل، أو أن يكونوا وإياهم على طريق واحد"<sup>5</sup>.

1 - انظر، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، 421/1.

2 - العيني، بدر الدين محمود بن أحمد: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 140/22.

3 - سورة هود، الآية 29.

4 - سورة هود، الآية 27.

5 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1874/4.

وهذا من كبرهم، لأن الذي يرى الحق لا ينظر إلى أتباعه، بل يتبع الحق حيث كان، فلما رفضوا الحق من أجل تحقيرهم لأتباعه، كان هذا كبرا منهم،" قال ابن جريج: قوله: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ)، قال: قالوا له: يا نوح إن أحببت أن نتبعك فاطردهم، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء، فقال: ما أنا بطارد الذين آمنوا، إنهم ملاقوا ربهم، فيسألهم عن أعمالهم"<sup>1</sup>.

إلا أن الله عز وجل أخبرنا أن نبيه أن رد عليهم بامتناعه عن طرد هؤلاء المؤمنين الصابرين، الذين اتبعوا الحق، ورضوا به، ووقفوا في طريق الكفر.

ويلمس القارئ كبر هؤلاء القوم من خلال ثلاثة أمور:

**الأول: وصفهم للنبي عليه السلام بأنه بشر:**

الهدف من هذا الوصف كما يقول الزمخشري: "تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملائم ومواز لهم في المنزلة، فما جعلك أحق منهم؟"<sup>2</sup>.

والحقيقة أن المشركين أرادوا من قولهم هذا (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا)، ليس تذكير النبي بأنه بشر، فتلك حقيقة لا تخفى على أحد، وإنما أرادوا من ذلك إهانته وتكذيبه، قال أبو السعود: "مرادهم ما أنت إلا بشرا مثلنا: ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة، ولو كان كذلك لرأيناه، لا أن ذلك محتمل، ولكن لا نراه"<sup>3</sup>، وقال الشوكاني: "(مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا) هذه الجهة الأولى من جهات طعنهم في نبوته: أي نحن وأنت مشتركون في البشرية، فلم يكن لك علينا مزية تستحق بها النبوة دوننا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الطبري: جامع البيان، 30/12.

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، 368/2.

<sup>3</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 200/4.

<sup>4</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 493/3.

## الثاني: نعتهم المؤمنين بأنهم (أراذل):

أي سفهاء، قال ابن عطية: "الأراذل: هم سفلة الناس، ومن لا أخلاق له، ولا يبالي ما يقول، ولا ما يقال له"<sup>1</sup>. وهذا كبر منهم؛ لأنهم رفضوا الحق مع قناعتهم بأنه حق، فقط لأن أتباعه من الضعفاء، فرفضوا الحق، وnectوا أهله بالأراذل، قال الشوكاني: "قالوا لم يتبعك أحد من الأشراف، فليس لك مزية علينا باتباع هؤلاء الأراذل لك"<sup>2</sup>.

ويظهر من قولهم هذا؛ أنهم يريدون دينا على مقاسهم، وأنهم الوحيدون الذين يفهمون أمور القيادة والحكم، أما الضعفاء الفقراء، فهم لا يستطيعون أن يكونوا أكثر من عبيد، قال الإمام سيد قطب: "والكبراء يقولون دائما عن الفقراء: إن عاداتهم وأخلاقهم لا ترضي العلية، ولا تطاق في أوساط الطبقة الراقية، ذات الحس المرهف، والذوق اللطيف"<sup>3</sup>.

## الثالث: وصف المؤمنين بأنهم ليس لهم عليهم فضل:

قال الرازي: "والمعنى: لا نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات"<sup>4</sup>.

وفي نعت المشركين للمؤمنين بالصفات الثلاث، تعريض منهم بعدم صدق نبوة نبيهم، قال الألوسي: "هذا تسجيل بأن دعوة النبوة باطلة؛ لإدخاله عليه السلام والأراذل في سلك على أسلوب يدل على أنهم أنقص البشر، فضلا عن الارتقاء، وليس في هذا الكلام اعتزال خفي، ولا المقام عنه أبي"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 163/3.

<sup>2</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 493/3.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2608/5.

<sup>4</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 169/17.

<sup>5</sup> - الألوسي: روح المعاني، 37/12.

وقد رد القرآن الكريم على هؤلاء المتكبرين، بوصفهم بالجهل، لأن المقياس الحقيقي للتفاضل لا يقاس بالأموال الدنيوية، بل إن المقياس الصحيح للتفاضل هو التقوى، قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)<sup>1</sup>، قال الإمام الفخر الرازي: "إن العقل والشرع تطابقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي، ومن إهانة الفاجر الكافر، فلو قلبت القصة، وعكست القضية، وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم، وطردت المؤمن التقي على سبيل الإهانة، كنت على ضد أمر الله تعالى، وعلى عكس حكمه، وكنت في هذا الحكم على ضد ما أمر الله تعالى من إيصال الثواب إلى المحقين، والعقاب إلى المبطلين"<sup>2</sup>.

فجاهليتهم هنا جهالة كبر، قلبت موازين التفاضل الحقيقية، وجعلت الميزان والمقياس هو التفاضل في المال والجاه، وهذه قمة الجاهلية، والسمة البارزة فيها، ومن خلالها ترتكس البشرية في تصوراتها وأخلاقها، قال الزمخشري: "أرادوا: أن اتباعهم لك إنما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر، وإنما استردلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية، لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال، كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم، ولقد زلّ عنهم أن التقدّم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده، ولا يرفعه بل يضعه، فضلاً أن يجعله سبباً في الاختيار للنبوّة والتأهيل لها، على أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا، مزهدين فيها، مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها، فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله، والتشرف بما هو ضعة عند الله"<sup>3</sup>.

والنبي مهما عظم، فإن مهمته تتوقف على تبليغ الرسالة، لكنه لا يستطيع حجب الإيمان عن قوم، وإلباسه لآخرين، ومن زعم ذلك فإنه جاهل، قال القرطبي: "كان هذا جهلا منهم، لأنهم عابوا نبي الله بما لا عيب فيه؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما عليهم أن يأتوا

<sup>1</sup> - سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 173/17.

<sup>3</sup> - الزمخشري: الكشاف، 368/2.

بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات وهم يرسلون إلى الناس جميعاً، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم<sup>1</sup>.

## المطلب الثاني: جاهلية الانحراف عن الفطرة

المحور الثاني الذي بيّن القرآن الكريم من خلاله جاهلية الأخلاق، هو الانحراف عن الفطرة السليمة بوجه من الأوجه، وقد ضرب القرآن الكريم على ذلك نموذجاً هو الأشنع في الانحراف عن الفطرة والنهج الكريم.

وهذا النموذج الذي ذكره القرآن الكريم هو نموذج قوم لوط، الذين انصرفوا في شهواتهم، وباتوا يأتون الذكران بدل الإناث، فاستحقوا بذلك سمة الجهالة، قال تعالى: (وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَعْيُنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ)<sup>2</sup>.

فقوم لوط انصرفوا عن فطرتهم، بتركهم النساء، وبحثهم عن الرجال، وهذا أمر مناقض للفطرة، قال الوليد بن عبد الملك<sup>3</sup>: لولا أن الله ذكر آل لوط في القرآن، ما ظننت أن أحداً يفعل هذا<sup>4</sup>، وقال أبو يوسف<sup>5</sup>: "إن الميل إلى الذكور عاهة، وهو قبيح بنفسه، إذ لم يخلق هذا المحل للوطء، ولهذا لم يباح في شريعة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 23/9.

<sup>2</sup> - سورة النمل، الآيات (54-55).

<sup>3</sup> - هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، بويغ له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، ولقب بالمنتقم بالله، وهو الذي بنى جامع دمشق، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر، انظر، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين العمري، (بيروت، دار الفكر، ط1 - 1995م)، 164/63.

<sup>4</sup> - الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1407هـ - 1987م)، 499/6.

<sup>5</sup> - هو القاضي يعقوب بن إبراهيم بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، قاضي القضاة، والتلميذ الأول لأبي حنيفة النعمان، ولد سنة ثلاث عشرة ومائة من الهجرة، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة من الهجرة، وله من العمر سبع وستون سنة، انظر، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9 - 1413هـ)، 535/8.

<sup>6</sup> - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (لبنان، بيروت، دار صادر، ط1 - 1358هـ)، 249/16.

وقوم لوط لما فعلوا هذا الأمر الشنيع، وهو أمر مستبعد عقلا، مرفوض فطرة، وذلك لأن الفطرة السليمة تقتضي الميل إلى محل الشهوة عند النساء، قال الألوسي: "وتعليل الإتيان بالشهوة تقبيح على تقبيح، لما أنها ليست في محلها، وفيه إشارة إلى أنهم مخطئون في محلها فعلا، وفي قوله تعالى: (مِّن دُونِ النِّسَاءِ) أي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة، إشارة إلى أنهم مخطئون فيه تركا"<sup>1</sup>.

من أجل ذلك سماهم الله عز وجل بأنهم (قوم يجهلون)، أي يجهلون أن هذا الفعل متناقض مع كل فطرة وعُرف، ومع كل دين، وفي كل شريعة، قال سيد قطب: "هي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشذّ أفراد لأسباب مرضية نفسية، أو لملايسات وقتية، فيميل الذكور لإتيان الذكور، وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود، حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة، معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء، أما أن يشيع هذا الشذوذ، فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقا في تاريخ الجماعات البشرية!"<sup>2</sup>.

ولشناعة فعل قوم لوط، فإن الله عز وجل قد استخدم أقوى العبارات في الدلالة على قبح فعلهم، فاستخدم ألفاظا تدل على المبالغة، قال أبو السعود: "(أَعِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً): تنحية للإنكار، وتكرير للتوبيخ، وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح، وتحلية الجملة بحرفي التأكيد؛ للإيدان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد، لكمال بعده من العقول، وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح، وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الإتيان"<sup>3</sup>.

فهم قوم يجهلون؛ يجهلون علم عواقب ما يفعلون، ويجهلون حسنة وسفه ما يفعلون، لذلك وسمهم الله عز وجل بالجهالة المطلقة، الجهالة التي تتضمن كل معانيها، قال الأستاذ سيد قطب:

<sup>1</sup> - الألوسي: روح المعاني، 216/19.

<sup>2</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2647/5.

<sup>3</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 292/6.

"دمغهم بالجهل بمعنييه: الجهل بمعنى فقدان العلم، والجهل بمعنى السفه والحمق، وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف البغيض، فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء، ولا يعلم شيئاً أصلاً، والذي يميل هذا الميل عن الفطرة، سفيه أحمق، معتد على جميع الحقوق!"<sup>1</sup>.

والذي يؤكد جهالة قوم لوط أنهم لم يستعروا بتلك الجاهلية، بل تفاخروا بها، وتنادوا بها، وأصبحوا يرون أن الفعل الصحيح السليم هو الخاطيء، وأن الانحراف عن الفطرة هو الأمر الصحيح القويم، أنهم ردوا على كلام نبيهم حين نهاهم عن فعلهم القبيح، فقالوا له: (أَخْرِجُوا عَال لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ)<sup>2</sup>. وهذا رد أقبح من فعلهم، فلو اكتفوا بفعلتهم لكان أهون، أما أن يتمادوا في فعلهم، ويتفاخروا ويجاهروا به، ثم يعيبوا على تاركه، ويتآمروا عليه، ويحيكوا به المآمرات، ويجتمعوا على طرده، فهذه قمة الجهالة .

وردهم هذا كان عقب سلسلة من الردود، تهمجوا فيها على نبيهم، وتهكموا عليه لتركه قذارتهم، قال الألويسي: "(إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ): تعليق للأمر على وجه يتضمن الاستهزاء، أي إنهم أناس يزعمون التطهر والتنزه عن أفعالنا، أو عن الأقدار، ويعدون فعلنا قذراً، وهم متكلفون بإظهار ما ليس فيهم؛ والظاهر أن هذا الجواب صدر عنهم في المرة الأخيرة من مراتب مواظبه عليه السلام بالأمر والنهي، لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره"<sup>3</sup>.

وإذا كان الله عز وجل قد ذكر لنا قوم لوط مثالا للانحراف عن الفطرة، فإننا اليوم نعيش في جاهلية كجاهلية قوم لوط، بل أشد وأنكى؛ إذ صار هذا الأمر في بعض البلدان مقنناً، تحت ما يسمى (زواج المثليين)، وصارت له محاكم خاصة، وعقود توثق في السجلات المدنية، وهذا أسوأ مما كان يفعله قوم لوط. يقول الأستاذ أحمد شاكِر: "وقد شاعت هذه الفاحشة القذرة في كثير من البلاد، وأكثر ما شاعت في الأمة الانجليزية، حتى صارت عندهم شيئاً هيناً لا يعاب به، بل شيئاً لا ينكر، وزاد الأمر أن كثيراً من قساوستهم أعلنوا أن ليس في هذا العمل المنكر جريمة،

<sup>1</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 2647/5.

<sup>2</sup> - سورة النمل، الآية 56.

<sup>3</sup> - الألويسي: روح المعاني، 2/20.



إذا ما كان بالتراضي، فكانوا خزيا لدينهم وأمتهم، ونحن نبشر تلك الأمم الفاجرة، القدرة، الطاغية، بأن ستكون عاقبتهم كمثل عاقبة قوم لوط، يدمر الله عليهم بما اجترأوا على هذا المنكر، ثم على ذبوعه، ثم على التصريح بإباحته، أخزاهم الله، وأراح العالم من شرورهم وطغيانهم"<sup>1</sup>.

ولو مدّ الله في عمر أحمد شاكِر، وعاش جاهلية هذه الأيام، لغير وجهة نظره في تخصيص الأمة الإنجليزية في شيوع هذا الأمر فقط، ولأضاف إليها أمم الكفر المعاصرة التي قننت هذه الفعلة الشنعاء، وأصبح لهؤلاء الشواذ فضائيات ومواقع إلكترونية، بل وصل بعضهم إلى سدّة الحكم.

ولا يخفى على أحد أن هذه الفعلة الشنعاء قد انتشرت في بلاد المسلمين للأسف الشديد وإن كانت على نطاق ضيق، ولكن ليس بشكل ظاهر وعلني؛ وأخطر وسيلة يمكن أن تؤدي إلى نشرها هي المواقع الإلكترونية الأباحية .

### المطلب الثالث: جاهلية معاداة أهل الحق

وصف الله عز وجل الجاهلين بأنهم معادون لأهل الحق، فقال سبحانه: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)<sup>2</sup>.

ففي الآية دلالة - حسب مفهوم المخالفة - على أن الجاهلين يحاولون دائما الكيد بأهل الحق، ومعاداتهم، بل دائما هم وإياهم في صدام، قال سيد قطب: "وكانما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة، المعاندة المشاقة، وكانما هم الثمرة الحلوة الجنية الممثلة للخير الكامن في شجرة البشرية ذات الأشواك"<sup>3</sup>.

وهذه الصفة بعد أن كانت في أناس جاهلين اتسموا بها، أصبحت بعد ذلك سمة لمجتمعات جاهلية، تحيك بأهل الحق، وتسعى وراءهم بجهدهم الجهيد، وطاقتهم القوية، فباتوا لا يهتمون هم

<sup>1</sup> - شاكِر، أحمد: حكم الجاهلية، ص187.

<sup>2</sup> - سورة الفرقان، الآية 63.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2546/5.

شيء كما يهملون هم العداء لأهل الحق، قال ابن تيمية: "إن الناس قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جهال، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد ما بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم فإنه يكون في جاهلية وإن كان في دار الإسلام"<sup>1</sup>.

من أجل ذلك أراد الله عز وجل أن يقلل من خطورتهم، فصرف المؤمنين عنهم، وحثهم على ترك الخوض معهم، خشية أن يتحول المسلم من هم الدعوة إلى هم الانتقام، وخشية أن يشغل فكره وعقله كيفية الرد، ويغفل عن أصول الدين، قال ابن كثير: "إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً"<sup>2</sup>، وقال الشوكاني: "ذكر سبحانه أنهم يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه فلا يجهلون مع من يجهل ولا يسافهون أهل السفه...، قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على قوله تسليماً منكم ولا خير ولا شر بيننا وبينكم"<sup>3</sup>.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالابتعاد عن الجاهلين، فقال سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)<sup>4</sup>.

فقد جاءت هذه الآيات تسرية لنفس النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن لاقى من الجاهلين ما تعجز الألسنة عن وصفه، والأقلام عن كتابته، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات، تصف الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجاهلين يقول سيد قطب: "تجيء هذه التوجيهات الربانية في نهاية السورة، من الله سبحانه إلى أوليائه، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا

<sup>1</sup> - ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط2 - 1369هـ)، 78/1.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 325/3-326.

<sup>3</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 85/4.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف، الآية 199.

معه، وهم بعد في مكة، وفي مواجهة تلك الجاهلية من حولهم في الجزيرة العربية، وفي الأرض كافة، هذه التوجيهات الربانية في مواجهة تلك الجاهلية الفاحشة، وفي مواجهة هذه البشرية الضالة، تدعو صاحب الدعوة - صلى الله عليه وسلم - إلى السماحة واليسر، والأمر بالواضح من الخير الذي تعرفه فطرة البشر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد، والإعراض عن الجاهلية فلا يؤاخذهم، ولا يجادلهم، ولا يحفلهم، فإذا تجاوزوا الحد، وأثاروا غضبه بالعناد والصد، ونفخ الشيطان في هذا الغضب، فليستعذ بالله ليهدأ ويطمئن ويصبر<sup>1</sup>. وهذا الأمر وإن كان يحمل بين طياته أسلوباً تربوياً، ومنهاجاً قوياً في الدعوة، إلا أن فيه أيضاً نموذجاً لكرم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، وإظهاراً لسعة نفوسهم في التعامل مع أهل الجهل.

وإذا كان هذا الأمر هو صفة رسول الرحمة ومن معه، فإن من سمات الجاهلية أنها تقرب أهل السوء، وتخالطهم، وتحت على التعامل معهم، في حين تعادي أهل الحق، وتحت على الابتعاد عنهم، حتى قال فيهم جل سبحانه: **(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)**<sup>2</sup>، أي يبتعدون هم، ويبتعدون غيرهم عن الحق، قال الطبري: "هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله، ينهون الناس عن إتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه، وينأون عنه يتباعون عنه"<sup>3</sup>.

إلا أن هذا الأمر جلب عليهم الويلات، فإذا كان الإعراض عن الجاهلين قد أكسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، ودعوته الخير والفضيلة، فإن الصد عن أهل الحق قد جلب للجهال وفكرهم الهلاك، فقال تعالى: **(وَإِنْ يُهُلِكُوا إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)**.

من أجل ذلك حث القرآن الكريم المسلمين على ترك أهل الجهل، ليس فقط الإعراض عنهم وعن صنيعهم، وترك جدالهم، والانسحاق وراء ترهاتهم، بل حثهم على ترك مخالطتهم، فقال جل سبحانه: **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَأَكْمُ أَعْمَالِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)**<sup>4</sup>. فهذه الآية كانت الفيصل الأخير في التعامل مع المعادين من

<sup>1</sup> - قطب، سيد : في ظلال القرآن، 1418/3.

<sup>2</sup> - سورة الانعام، الآية 26.

<sup>3</sup> - الطبري: جامع البيان، 171/7.

<sup>4</sup> - سورة القصص، الآية 55.

أهل الجهل، فدلّت على الإعراض عنهم ابتداءً (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)، ثم أشارت إلى ترك المخالطة (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)، قال الواحدي: "ليس هذا تسليم التحيّة، وإنما هو تسليم المتاركة، أي بيننا وبينكم المتاركة والتسليم"<sup>1</sup>، وقال الألوسي: "أي بيان للداعي للمتاركة والتوديع، أي لا نطلب صحبة الجاهلين، ولا نريد مخالطتهم"<sup>2</sup>.

### المطلب الرابع: جاهلية التبرج والسفور:

المحور الأخير الذي تحدث عنه القرآن الكريم في وصفه للانحرافات الأخلاقية في المجتمعات الجاهلية، هو السفور والانحلال الذي تعيشه تلك المجتمعات، والتي برهن عليها القرآن الكريم بذكر نموذج واحد، ألا وهو التبرج، والذي دلت عليه الآية الكريمة: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)<sup>3</sup>.

فالمجتمعات الجاهلية مجتمعات متبرجة، يسيطر عليها الانحلال، وتنقصها العفة، مجتمعات حيوانية - إن صح التعبير - ، تسيطر عليها الشهوة، ولا يحكمها دين أو قانون . وقد ذكر الإمام ابن الجوزي، أن تبرج الجاهلية القديمة كان يتصف بصفات ست<sup>4</sup>:  
أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد.

الثاني: أنها مشية فيها تكسر وتغنج، قاله قتادة.

الثالث: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح.

الرابع: أن المرأة منهن كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ، فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

<sup>1</sup> - الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 822/2.

<sup>2</sup> - الألوسي: روح المعاني، 95/20.

<sup>3</sup> - سورة الأحزاب، الآية 33.

<sup>4</sup> - انظر، ابن الجوزي: زاد المسير، 381-380/6.

**الخامس:** أنها كانت تلقي عن رأسها ولا تشده، فيرى قرطها وقلاندها، قاله مقاتل.

**السادس:** أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا تواري جسدها، حكاه الفراء.

والحقيقة؛ أن هذه المعاني كلها صحيحة، وكلها تحمل بين طياتها صفات للانحرافات الأخلاقية السلوكية التي تعيشها المجتمعات الجاهلية، فالتبرج في اللباس، والتكسر في المشي، والتبختر على الغير، وكشف الجسد، كل هذه مظاهر تسفر عن انحراف، ولذلك عرف بعض المفسرين التبرج، على أنه كل ما يجلب شهوة الرجل، قال الشوكاني: "التبرج: أن تبدي المرأة زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره، مما تستدعي به شهوة الرجل"<sup>1</sup>.

وكل تلك الصفات إذا ما قورنت بتبرج المجتمعات المعاصرة، فلا يسع قائلًا إلا أن يقول: إن المجتمعات الجاهلية القديمة كانت مجتمعات محافظة، فأين المقارنة بين مجتمعات سُميت مجتمعات تبرج لمجرد أن المرأة تكسرت في مشيتها، أو كشفت جزءًا من بدنها، أو أرخت ثوبها، أو خالطت الرجال، في حين أن المجتمعات المعاصرة جعلت المرأة كالرجل؟، قال الأستاذ أحمد شاكر: "أما النساء في عصرنا فقد ملأهن الكبر والغرور والطغيان، بما بثه أعداؤنا المبشرون والمستعمرون في نفوسهن، بالتعليم المتهتك الفاسق، فزعمن لأنفسهن حق المساواة بالرجال في كل شيء"<sup>2</sup>.

فإذا كانت الجاهلية الأولى قد سمحت للمرأة أن تكشف جزءًا من بدنها، فإن الجاهلية المعاصرة سمحت للمرأة أن تتعري، وإذا كانت الجاهلية الأولى قد سمحت للمرأة أن تخالط الرجال، فإن الجاهلية المعاصرة قد سمحت لها بأن تصاحبهم.

يقول الأستاذ سيد قطب مقارنًا الجاهلية الأولى التي ذمها القرآن، بالجاهلية المعاصرة: "جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة! قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال، فذلك

<sup>1</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 278/4.

<sup>2</sup> - شاكر، أحمد: حكم الجاهلية، ص65.

تبرج الجاهلية! وقال قتادة: وكانت لهن مشية تكسر وتغنج، فنهى الله تعالى عن ذلك! وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيداري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج! وقال ابن كثير في التفسير: كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها، لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها، وذوائب شعرها، وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن، هذه هي صور التبرج في الجاهلية التي عالجها القرآن الكريم، ليظهر المجتمع الإسلامي من آثارها، ويبعد عنه عوامل الفتنة، ودواعي الغواية، ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه...، وبهذا المقياس نجد أننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء، غليظة الحس، حيوانية التصور، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين، وندرك أنه لا طهارة ولا زكاة ولا بركة في مجتمع يحيا هذه الحياة، ولا يأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهر من الرجس، والتخلص من الجاهلية الأولى وأخذ بها - أول من أخذ - أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على طهارته ووضاءته ونظافته"<sup>1</sup>.

ولما كان للتبرج عواقب وخيمة، ونتائج مردية، حث القرآن الكريم المرأة على البقاء في البيت، وألا تخرج منه إلا لغاية سليمة، وضرورة تقتضي الخروج، مع الالتزام بما أمر به الشارع من الاحتشام والتستر، قال الإمام القرطبي: "المقصود من الآية مخالفة من قبلهن، من المشية على تغنيج وتكسير، وإظهار المحاسن للرجال، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعا، وذلك يشمل الأقوال كلها ويعمها، فيلزم من البيوت فإن مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2860/5-2861.

<sup>2</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 180/14.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء في حجة الوداع: (إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحَجَّةُ، ثُمَّ الزَّمَنَ ظُهُورَ الْحُصْرِ)<sup>1</sup>، أي بعد هذه الحجة الزمن البيوت، قال الإمام العيني: "أي: إنكن لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمين الحصر، هي: جمع الحصر الذي يبسط في البيت"<sup>2</sup>.

فالأيات السابقة إذن ليست في بيان أن التبرج كان في المجتمعات الجاهلية فقط، بل لبيان ما يقع في المجتمعات الإسلامية من أمور الجاهلية، والحث على تطهير المجتمعات الإسلامية من هذه السمة الانحرافية، قال الإمام الشوكاني: "يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أو فعل، فيكون المعنى: ولا تبرجن أيها المسلمات بعد إسلامكن تبرجا مثل تبرج أهل الجاهلية التي كنتن عليها، وكان عليها من قبلكن، أي لا تحدثن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، حديث 9765، 476/15، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وأخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر)، كتاب المناسك، باب فرض الحج، حديث 1722، 140/2. وصححه الألباني.

<sup>2</sup> - العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 134/9.

<sup>3</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 278/4.

## المبحث الرابع

### جاهلية العلم

إن كلمة الجاهلية هي عبارة مصطلح قرآني له معانيه ودلالاته الخاصة، وقد ذكرنا سابقاً كلام الأستاذ محمد قطب في أن الجاهلية كما عناها القرآن الكريم وحدها هي: حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله. ولذلك عرف كثير من العلماء الجاهلية، بوصفها الفترة التي يغيب فيها كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "الجاهلية: هي التي ليس فيها رسول، وليس فيها كتاب"<sup>1</sup>.

فالجاهلية على هذا الكلام مختصة بالجهل بأمر الدين، وعلومه، وأحكامه، وأوامره، ونواهيته، وكل علم يتصل بهذا الدين، لأن الجهل بأصول الدين يورد إلى الهلاك الذي عاشته عصور الجاهلية الأولى، من أجل ذلك سمي يوسف عليه السلام، الابتعاد عن دين الله جهل، قال سبحانه على لسان يوسف عليه السلام: (رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>2</sup>، قال الإمام الطبري: "أي ممن يرتكب الإثم، ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال"<sup>3</sup>، وقال ابن عطية: "(الجاهليين): هم الذين لا يراعون حدود الله تعالى ونواهيته"<sup>4</sup>.

فأنت ترى كيف أن مجتمعات كثيرة، قد بلغت في الحضارة أوجها، واكتسبت من العلوم الكونية ما جعلها أمة عريقة راقية، وامتلكت من العقول ما رفعها إلى عنان السماء، إلا أن القرآن الكريم تحدث عنها بوصفها مجتمعات جاهلية، قال ابن تيمية: "كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عبد الوهاب، محمد ابن سليمان التميمي: شرح مسائل الجاهلية، تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1 - 1421هـ - 2005م)، 6/2.

<sup>2</sup> - سورة يوسف، الآية 33.

<sup>3</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 9/185.

<sup>4</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 3/242.

<sup>5</sup> - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، 1/78.



والذي يبرهن على هذا الكلام؛ أن العلم الذي ذكر في القرآن الكريم في مقابل الجهل، هو العلم الشرعي، قال سبحانه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)<sup>1</sup>، قال ابن كثير: "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى كلما، كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"<sup>2</sup>.

بل إن الله عز وجل حصر معرفة الدين في أهل العلم، دلالة إلى أن البعد عن الدين جهالة، قال سبحانه: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)<sup>3</sup>، قال الرازي: "إن من أوتي علماً لا يعتر بتكذيبه، ويعلم أن ما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق"<sup>4</sup>.

وقد فسّر بعض العلماء<sup>5</sup> قول الله عز وجل: (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بأنهم المسلمون الذين آمنوا مع نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الشوكاني: "هم جميع المسلمين"<sup>6</sup>، وقال السمعاني: "والصحيح أن الآية في الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم"<sup>7</sup>.

ولذلك لما فسّر الإمام الألويسي قول الله عز وجل: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا)<sup>8</sup>، قال: "والمراد بالعلم: العلم الشرعي، المقتبس من مشكاة النبوة، فإن أهله هم الممدوحون"<sup>9</sup>.

1 - سورة فاطر، الآية 28.

2 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 554/3.

3 - سورة سبأ، الآية 6.

4 - الرازي: التفسير الكبير، 210/25.

5 - انظر، السمعاني: تفسير القرآن، 317/4.

6 - الشوكاني: فتح القدير، 313/4.

7 - السمعاني: تفسير القرآن، 317/4.

8 - سورة آل عمران، الآية 7.

9 - الألويسي: روح المعاني، 83/3.

فمادام أهل العلم الشرعي هم الممدوحون، فإن المذمومين هم أهل الجهل بالعلم الشرعي، وإن المجتمعات الجاهلية هي المجتمعات التي لا تفقه من دين الله عز وجل شيئاً، قال سيد قطب: "إن المجتمعات البشرية اليوم - بجملتها - مجتمعات جاهلية، وهي من ثم مجتمعات (متخلفة أو رجعية) ! بمعنى أنها رجعت إلى الجاهلية، بعد أن أخذ الإسلام بيدها فاستنقذها منها، والإسلام اليوم مدعو لاستنقاذها من التخلف والرجعية الجاهلية، وقيادتها في طريق التقدم والحضارة بقيمتها وموازينها الربانية"<sup>1</sup>.

فمهمة الإسلام هي إخراج الناس من وحل الجهل، إلى جنة العلم، ولتصحيح الأوضاع القائمة، وإبطال مقومات الجاهلية وسماتها، القائمة على الابتعاد عن الدين، والتركيز على المادية، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم"<sup>2</sup>، فوصفهم بالجهل.

وقد نزه القرآن الكريم الأنبياء من الجهل، الذي هو ضد العلم بأحكام الشرع، فقال سبحانه في حق نوح عليه السلام: (إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>3</sup>، قال الشوكاني: "وهذه زيادة زيادة من الله وموعظة، يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين"<sup>4</sup>.

وقال سبحانه منزلها موسى عليه السلام: (قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>5</sup>، قال قال البيضاوي: "لأن الهزؤ في مثل ذلك - أي تبليغ أمر الله عز وجل - جهل وسفه، نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان، وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعاً له"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 314/1.

<sup>2</sup> - رواه الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعْرَفُ بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث 2865، 2197/4.

<sup>3</sup> - سورة هود، الآية 46.

<sup>4</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 503/2.

<sup>5</sup> - سورة البقرة، الآية 67.

<sup>6</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 339/1.

وعلى ضوء ما قررناه، فإن الأمة الإسلامية اليوم، فضلا على غيرها من الأمم، تعيش في جاهلية ما بعدها جاهلية، لابتعادها عن دينها، وجهلها به، حتى أن الأمور التي كانت معلومة من الدين بالضرورة، أصبحت الآن من عموم البلوى، مما دعاهم إلى عداة الدين، ومهاجمته، يقول الأستاذ أحمد شاکر: "الأمة بحمد الله مسلمة، وحكومتها تعلن أن دينها الرسمي هو دين الإسلام، وبجانب هذا يخرجون ناشئتها تجهل دينها، ثم لا يزال بها الجهل حتى تعاديه، وقديما قالوا: (من جهل شيئا عاداه)، وصدقوا...، وقد صارت الأمة في خطر شديد من هذه الخطط التي وضعت، فكادت تقضي على عقائد شبانها، وأخلاقهم، وتهذيبهم"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - شاکر، أحمد: حكم الجاهلية، ص 174-176.

## الفصل الثالث

### منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهليّة

المبحث الأول: التحذير من سلوك الجاهلية

المبحث الثاني: الدعوة للإعراض عن الجاهلية

المبحث الثالث: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية

المبحث الرابع: وصف الأمم الكافرة بالجهل

المبحث الخامس: بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية

## الفصل الثالث

### منهج القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية

#### المبحث الأول: التحذير من سلوك الجاهلية

كان أهل الجاهلية متفرقين، لا يحكمهم دين ولا عقل، ولا تربط بينهم مشاعر إنسانية (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)<sup>1</sup>، فكانوا بهائم تسير على قدمين، القوي يأكل الضعيف، والغني يستحققر الفقير، زادهم الحروب، يحتكمون لشهواتهم، ويتحيزون لحميتهم الجاهلية.

فجاء الإسلام العظيم، ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهذا الأمر شهد به أهل تلك الفترة، الذين كتب الله عز وجل لهم الهداية، فانتشلهم الإسلام من بؤس الجاهلية، إلى نعيم الإسلام. هذه المعاني وردت على لسان جعفر ابن أبي طالب حينما قال لملك الحبشة: "أيها الملك إنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصّلاة والزكاة والصيام"<sup>2</sup>.

من أجل ذلك، حذر القرآن الكريم من الجاهلية، وبين العواقب المترتبة عليها، ذلك أن الجاهلية خروج من النور إلى الظلمة، فبعد أن حرّر الإسلام الناس من الجاهلية، ونقلهم إلى جنة

<sup>1</sup> - سورة الفرقان، الآية 44.

<sup>2</sup> - الذهبي: سير أعلام النبلاء، 432/1.

الإسلام ونوره، ثم هم يعودون إلى الجاهلية التي كانوا فيها، وهذه قهقرة لا تكون من إنسان عاقل مدرك تماما لحقيقة ما يفعل.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة، وطرقا متنوعة، في التحذير من الجاهلية، وفي بيان خطرها، فتارة يُرهبُّ منها، وتارة يُرغَّب في الابتعاد عنها، وأخرى يُبين عواقب الانسياق وراءها، وفي غيرها يسرد قصصاً لأناس سماهم القرآن الكريم (جاهلون)، ثم كانت نهايتهم حسرة ووبالاً...، كل تلك الأساليب وغيرها، استخدمها القرآن الكريم للتحذير من الجاهلية، وإليك بيان ذلك:

### المطلب الأول: بيان القرآن الكريم بطلان أمور الجاهلية

ذكر القرآن الكريم الجاهلية مشيراً إلى بطلانها، وأن كل أمورها زائلة، وذلك في قول الله عز وجل: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْتَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)<sup>1</sup>.

فبعد أن ذكر الله عز وجل جاهلية بني إسرائيل، ووصفهم بالقوم الجاهلين، تحدث عن بطلان ما هم فيه، والبطلان كما يقول الرازي: "عدم الشيء، إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده، والمراد من بطلان عملهم: أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر"<sup>2</sup>. فأمر الجاهلية كلها أمور باطلة لا فائدة فيها، بل إن عواقبها وخيمة تعود بالضرر على فاعلها، من أجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليَّةِ تحتَ قدميِّ مَوْضُوعٌ"<sup>3</sup>، أي باطل، فإن المراد من الوضع تحت القدم الإبطال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الأعراف، الآيات (138-139).

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 183/14.

<sup>3</sup> - رواه الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، بابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جداً، وهذه الجملة هي جزء منه.

<sup>4</sup> - النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: شرح النووي على صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 - 1392هـ)، 182/8.

وقد توعد الله عز وجل بتدمير أمور الجاهلية ومحققها، فقال سبحانه: (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ)، أي مهلك ومدمر، قال الطبري: "الله مهلك ما هم فيه من العمل، ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين"<sup>1</sup>، وقال ابن عطية: "متبر: أي مهلك مدمر، ردي العاقبة"<sup>2</sup>.

وهذه الآيات يؤكدُها قول الله عز وجل: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا)<sup>3</sup>، أي أعمال البر التي كانوا يعملونها في الجاهلية، فهي كلها لا أجر لهم فيها، قال أبو السعود: "المراد به أعمال البر التي عملوها في الجاهلية، فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر"<sup>4</sup>، وقال البغوي: "باطلا لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عز وجل"<sup>5</sup>.

وهذا الأمر أكدته السنة النبوية، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"<sup>6</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وسلم، جعل الدعوة إلى الجاهلية سببا لدخول النار، حتى لو أن صاحبها كثير الصلاة والصوم، فإن دعوته للجاهلية قد أفسدت عليه صلاته وصومه، بل ونفت عنه صفة الإسلام، حتى قال فيه عليه السلام: (وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ).

والآيات وإن كانت تتحدث عن أعمال الجاهلية، إلا أنها حملت بين طياتها أيضا الوعيد لأهلها، فكما أن أعمال الجاهلية باطلة، وإن مآلها إلى زوال، فإن أهلها أيضا يعيشون حياة

<sup>1</sup> - الطبري: جامع البيان، 46/9.

<sup>2</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 448/2.

<sup>3</sup> - سورة الفرقان، الآية 23.

<sup>4</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 368/3.

<sup>5</sup> - البغوي: معالم التنزيل، 365/3.

<sup>6</sup> - أخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث 17170، 404/28، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وأخرجه الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلوة والصيام والصدقة، حديث 2863، 148/5، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

باطلة، وأنهم لابدّ زائلون، قال الألويسي: "والجملة تعليل لإثبات الجهل المؤكد للقوم، وفي إيقاع اسم الإشارة اسماً لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبر لها، وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض إليهم ما أحبوا، ووجه ذلك أن اسم الإشارة بعد إفادة الإحضار وأكمل التمييز يفيد أنهم أحقاء بما أخبر عنه به بواسطة ما تقدم من العكوف والتقديم يؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست إلا البطلان فهم لا يعدونهما فهما لهم ضربة لازب"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: كَشَفُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ أُمُورَ الْجَاهِلِيَّةِ فَتْنَةٌ وَابْتِلَاءٌ

تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية بوصفها فتنة وابتلاء، وأن الله عز وجل قد كشف عنها من أجل التمحيص، فقا سبحانه: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)<sup>2</sup>.

فبعد أن تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية، وخصص منها أمراً نفسياً كان دارجاً في الجاهلية، واستمرت رواسبه في بعض الأفراد في المجتمع الإسلامي، قال سبحانه: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، إشارة منه إلى حكمة الله عز وجل في الكشف عنها.

وهذه الحكمة تكمن في غربلة المجتمع من المنافقين، الذين انبهروا بغيرهم من الأمم، وحاولوا تسريب بقايا من أمور الجاهلية في المجتمع الإسلامي النقي، فكشف الله عز وجل عن سرائرهم، قال ابن الجوزي: "قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب

<sup>1</sup> - الألويسي: روح المعاني، 41/9.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية 154.



صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين، وهذا التّمييز خاص للمؤمنين، وقال غيره: أراد بالتمييز إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين<sup>1</sup>.

فإنّ عز وجل كشف عن هؤلاء الذين يظنون بالله عز وجل ظن الجاهلية ليحفظ المجتمع الإسلامي منهم، قال الألويسي: "والتمييز تصفية، وإنما فعله لحكمة تعمّ، إذا أريد به الكشف والتمييز، ويصح أن يقال: إن هذه الجملة مشعرة بأنه تعالى غنيّ أيضاً، ومن هنا جوز بعض المحققين كونها حالاً من متعلق الفعلين، أي فعل ما فعل للابتلاء والكشف، والحال أنه تعالى غنيّ عنهما محيط بخفيات الأمور، إلا أنه لا يظهر حينئذ سر التعبير عن الإسرار والخفيات بذات الصدور دون ذات القلوب"<sup>2</sup>.

وهذه الآية وإن كانت في واقعة مخصوصة في غزوة أحد<sup>3</sup>، إلا أن الحكمة مستمرة في كل وقت وحين، ذلك لأن الله عز وجل جعل الآية عامة في كل سوء أدب مع الله، وفي كل أمر من أمور الجاهلية، فأطلق القول بقوله: (وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ)، قال الرازي: "اعلم أن ذات الصدور هي الأشياء الموجودة في الصدور، وهي الأسرار والضمائر، وهي ذات الصدور، لأنها حالة فيها مصاحبة لها، وصاحب الشيء ذوه وصاحبه ذاته، وإنما ذكر ذلك ليدل به على أن ابتلاءه لم يكن لأنه يخفي عليه ما في الصدور، أو غير ذلك، لأنه عالم بجميع المعلومات وإنما ابتلاه إما لمحض الإلهية، أو للاستصلاح"<sup>4</sup>.

### المطلب الثالث: بيان القرآن الكريم ندامة من عمل بعمل الجاهلية

أشار القرآن الكريم في معرض تحذيره من الجاهلية، إلى ندامة من عمل بعمل من أعمال الجاهلية، وذلك في قول الله عز وجل: (يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِنْ جَاءَكُمْ فٰسِقٌۢ بِنَبَاٍۭ فَتَبَيَّنُوْا اَنْ تُصِيبُوْا قَوْمًاۢ بِجَهٰلَةٍۭ فَتُصِيبُوْا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْۭ نَادِمِيْنَ) <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن الجوزي: زاد المسير، 482/1.

<sup>2</sup> - الألويسي: روح المعاني، 98/4.

<sup>3</sup> - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (418-419).

<sup>4</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 41/9.

<sup>5</sup> - سورة الحجرات، الآية 6.

فالأية وإن كانت تتحدث عن التوخي والحذر من الشائعات، إلا أن القارئ يفهم من خلالها ،  
ندامة من عمل بعمل جاهلي، وذلك استناداً إلى قوله تعالى (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ)، أي  
جاهلين، قال الرازي: "في تقدير حال، أي أن تصيبوهم جاهلين"<sup>1</sup>، وقال الألوسي: "ملتبسين  
بجهالة"<sup>2</sup>.

والجهل في الآية ليس الخطأ، بل هو أعظم منه، قال الرازي: "والجهل فوق الخطأ، لأن  
المجتهد إذ أخطأ لا يسمى جاهلاً، والذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصب جهل فلا  
يكون البناء على قوله جائزاً"<sup>3</sup>.

وقد أشارت الآيات إلى أن من يعمل بعمل جاهلي، لا بد وأن تكون عاقبته الندامة، أخذاً من  
قول الله عز وجل: (فَتُصِيبُكُم مِّنْهُم مَّا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، قال الرازي: "بياناً لأن الجاهل لا بد من  
أن يكون على فعله نادماً...، (فَتُصِيبُكُم) أي فتصيروا آخذين في الندم ملتبسين به ثم  
تستديمونه"<sup>4</sup>.

وأشار أبو السعود، إلى أن تركيب الحروف الثلاثة (ن د م)، في الآية، يشير إلى الدوام  
والاستمرارية في الندم، قال أبو السعود: "(نَادِمِينَ): مغتمين غما لازماً، متمنين أنه لم يقع، فإن  
تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام"<sup>5</sup>.

ومن الآية الكريمة نلاحظ استمرار ودوام هذه الندامة ، ولقد أشارت السنة النبوية إلى عدم  
قصرها على الدنيا فقط، بل إن الذي يعمل بعمل جاهلي يستمر به الندم في الدنيا والآخرة، قال

1 - الرازي: التفسير الكبير، 104/28.

2 - الألوسي: روح المعاني، 147/26.

3 - الرازي: التفسير الكبير، 104/28.

4 - المرجع السابق، 104/28.

5 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 118/8. وانظر : البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار

التأويل ، 214/5.

عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>1</sup>، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهَيْنَ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ<sup>2</sup> الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ"<sup>3</sup>.

ففي الحديث إشارة إلى شفاء من دعا إلى جاهلية، والشقاء سبب موجب لدخول النار، لأنه مصطلح قرآني استخدمه القرآن في أمر الدين، قال سبحانه: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) ● فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ<sup>4</sup>، قال أبو السعود: " (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ): أي وجبت له النار بموجب الوعيد"<sup>5</sup>.

وفي الحديث أيضا إشارة إلى هوانه عند الله، ومن هان على الله لم تشمله الرحمة، قال تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)<sup>6</sup>، قال القرطبي: "من أهانه بالشقاء والكفر لا يقدر أحد على دفع الهوان عنه"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - عِبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ : كبر وتجبر الجاهلية. قال الزمخشري: قوله «عبيبة الجاهلية» في الصحاح: رجل فيه عبيبة، أي: كبر وتجبر. وعبيبة الجاهلية: نخوتها. انظر: الزمخشري: الكشاف، 4/375. وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الفائق في غريب الحديث والأثر، (لبنان، دار المعرفة) تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، 384/2.

<sup>2</sup> - الجعلان: هو حيوان معروف كالخنفساء. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي: لسان العرب، (بيروت، دار صادر) ط 1، 112/11.

<sup>3</sup> - رواه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث 8736، 14/349، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، ورواه أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التَّفَاخُرِ بِالْأَحْسَابِ، حديث 5116، 4/331، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ الْحُجْرَاتِ، حديث 3270، 5/389. قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن بن عمر إلا من هذا الوجه وَعَبْدُ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ يُضَعَّفُ ضَعْفَهُ يحيى بن معينٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ يُضَعَّفُ .

<sup>4</sup> - سورة هود، الآيات (105-106).

<sup>5</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 4/241.

<sup>6</sup> - سورة الحج، الآية 18.

<sup>7</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 12/24.

## المطلب الرابع: إصدار القرآن الكريم الأحكام الصارمة بحق من عمل عملا من أعمال الجاهلية

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من الجاهلية وأعمالها، أنه أعطى الأحكام الصارمة بحق من يعمل عملا ينتسب إلى الجاهلية، لبيان شناعتها، فوصف الذين يدعون إلى حكم الجاهلية بأنهم (كافرون، ظالمون، فاسقون)، فقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)<sup>1</sup>. والفاء هنا للعطف على مُقَدَّرٍ يقتضيه المقام، أي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية، وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب، لأن التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم، وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أفبح وأعجب<sup>2</sup>.

ثم أصدر القرآن الكريم الأحكام في حق من لم يحكم بما أنزل الله، فحكم عليهم بالكفر، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)<sup>3</sup>، ثم حكم عليهم بالظلم، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>4</sup>، ثم حكم عليهم بالفسق، فقال سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)<sup>5</sup>.

والمستعرض لتلك الأحكام، يرى أنها أحكام شديدة، لا تكون إلا بحق من انتهك أمرا عظيما، ذلك هو استبدال حكم الإسلام بحكم الجاهلية، قال أبو السعود: "هذا إنكار وتعجيب من حالهم، وتوبيخ لهم،

من أجل ذلك أنكر الله عليهم، حتى حكم عليهم بأشد الأحكام، قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما

<sup>1</sup> - سورة المائدة، الآية 50.

<sup>2</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 47/3.

<sup>3</sup> - سورة المائدة، الآية 44.

<sup>4</sup> - سورة المائدة، الآية 45.

<sup>5</sup> - سورة المائدة، الآية 47.

كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير<sup>1</sup>.

وقد سبق وفصلنا في هذه الأحكام، ونسبنا كل حكم لمن ينطبق عليه، إلا أن الغرض في هذا المقام، أن نبين أن القرآن الكريم استخدم كل الأساليب في التحذير من الجاهلية، بما في ذلك أسلوب (التوبيخ، والتفريع)، والذي تجلّى في إصدار أكبر حكم في الإسلام، وهو الكفر، بحق من عمل بعمل من أمور الجاهلية، ثم حكمي الظلم والفسق، وهذا تفريع ما بعده تفريع.

### المطلب الخامس: بيان القرآن الكريم عقوبة من عمل بأعمال الجاهلية:

تحدث القرآن الكريم عن بعض مظاهر الجاهلية، مشيرا إلى العقوبة المترتبة على فعل هذا العمل، أو معقبا ببيان العقوبة التي حصلت لمن كان قد عمل بعمل جاهلي، وكل هذا في المحصلة، لزيادة التحذير من الجاهلية وأعمالها.

وعندما تحدث القرآن الكريم عن قوم لوط، وأشار إلى العمل القبيح الذي كانوا يفعلوه، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون، بيّن العقوبة التي أوقعها الله عز وجل عليهم بسبب تلك الجاهلية فقال جل في علاه: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ● أءَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ● فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ● فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِّنَ الْغَافِرِينَ ● وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 68/2.

<sup>2</sup> - سورة النمل، الآيات (54-58).

وهذه العقوبة خاصة بقوم لوط وما نزل العذاب عليهم إلا من أجل اقتراف هذا العمل، وكل من صنع صنيعهم، فهو مستحق لذلك العذاب، وقد ذكر سبحانه أن العقوبة ليست بعيدة عن أناس فعلوا هذه الفاحشة، فبعد ذكره سبحانه عذاب قوم لوط قال تعالى: ( وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ )<sup>1</sup>.

وعندما تحدّث القرآن الكريم عن قوم عاد، وأشار إلى جاهليتهم، ذكر سبحانه العقوبة التي عاقبها الله عز وجل له بسبب تلك الجاهلية، فقال سبحانه: (وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيِّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)<sup>2</sup>.

فهذا نوع آخر من العذاب لمن انتسب إلى الجاهلية، أو عمل بأعمالها، فقوم عاد استهانوا بنبيهم، واستهزأوا به، واستعجلوا العذاب، فعاقبهم الله عز وجل بالريح التي تحمل بين طياتها العذاب الأليم، وتدمر كل ما يقف في طريقها.

ولما أخبر القرآن الكريم عن جهل الإنسان حين رضي أن يأخذ أمراً لا طاقة له به، أشار إلى عذاب من أخذ أمراً ثم هو لم يلتزم بشروطه، ولم يراعِ حق الرعاية، فقال سبحانه: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ● لِيَعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة هود، الآية 83 .

<sup>2</sup> \_ سورة الأحقاف، الآيات (21-25).

<sup>3</sup> \_ سورة الأحزاب، الآيات (72-73).

فعدم معرفة العواقب، والرضى بالأمر دون تنفيذه، أمر جاهلي يوصف فاعله بالجهالة، قال النسفي: "جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خان بضمائه"<sup>1</sup>.

وقد استحق صاحب هذا الفعل العذاب، لأنه خان ما وكل إليه، فلم يلتزم بوعده، قال الشنقيطي: "دلّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب والعياذ باللّه"<sup>2</sup>.

وهكذا فكل عمل جاهلي، وكل حضارة قامت على الجاهلية، وكل أمة قامت على الجاهلية، فمآلها إلى الزوال، ولا بد وأن العقوبة هي مصيرهم، يقول الأستاذ محمد قطب: "كل جاهلية ذات حضارة، كانت تظن أن حضارتها المنحرفة هي الخير والبركة، والارتفاع الذي ليس وراءه ارتفاع، وكانت النتيجة الحتمية واحدة في النهاية، انهارت تلك الحضارات، أو تلك الجاهليات، بحكم ما فيها من جاهلية وانحراف"<sup>3</sup>.

وقال في موضع آخر: "هناك حتميات في أقدار الناس، حتميات حقيقية لأنها من صنع الله، ومن هذه الحتميات أن هذه الجاهلية لا تستطيع أن تبقى إلى الأبد مسيطرة على أقدار الناس، فإنها لابد ستتهار، تنهار بحكم ما فيها من شر غالب"<sup>4</sup>.

---

1 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 318/3.

2 - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م)، 6/259.

3 - قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين، ص196.

4 - المصدر السابق، ص199.

## المبحث الثاني

### الدعوة للإعراض عن الجاهلية

#### المطلب الأول: أمر الله عز وجل للمؤمنين بالإعراض عن الجاهلية

دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الابتعاد عن الجاهلية، وحذّر من الخوض في غياها، أو التقرب منها أو من أي عمل يتصل بها، أو من أي إنسان ينتسب إليها، فقال سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)<sup>1</sup>.

الأصل في الداعية أن يدعو إلى الله عز وجل، وألا يُعرض عن أحد من خلقه، إلا أن هذه الآية دلّت على أن هؤلاء الجاهلين لا ينفع معهم أمر إلا الإعراض، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ابتدأ معهم بأمرين قبل الإعراض، وهما: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ).

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بالعرف، وعفا عنهم في كل ما عملوه، ثم لما لم يكن منهم استجابة، أراد صيانة نفسه عنهم، فأعرض عنهم، قال ابن الجوزي: "هذا عام فيمن جهل، فقد أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم"<sup>2</sup>، وقال الشوكاني: "(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ): أي إذا أقيمت الحجة، في أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرض عنهم، ولا تماريهم، ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المراء والسفاهة"<sup>3</sup>.

فالأصل في الإنسان المسلم عدم الإعراض، إلا أنه لا بد منه مع فئة الجاهلين، لأنهم لا ينفع معهم العفو، ولم يسمعوا لأمرهم بالمعروف، بل استهزأوا، وأعرضوا، وعادوا، فكان لا بد من معاقبتهم بالمثل، وكما قيل: (آخر الدواء الكي)<sup>4</sup>، قال السعدي: "(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ): بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما

<sup>1</sup> - سورة الأعراف، الآية 199.

<sup>2</sup> - ابن الجوزي: زاد المسير، 308/3.

<sup>3</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 279/2.

<sup>4</sup> - الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر: المستقصى في أمثال العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987)، ط2،



تعليم علم، أو حثا على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية، أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه، وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرملك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه<sup>1</sup>.

واعلم أن هذه الخطوات: (العفو، والدعوة، ثم الإعراض)، توجيه رباني لأهل الدعوة، وقد نجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، فقابل أذى الجاهلية بالحلم، ثم أمرهم بالمعروف، ثم لما لم يكن منهم إلا العداوة والسفاهة والجهالة، كان منه صلى الله عليه وسلم أن أعرض عنهم، ثم هاجر من بينهم، وتركهم<sup>2</sup>، والإعراض عن الجاهلية، صفة من أهم الصفات التي دلّت عليها مقاصد الشريعة وقواعدها، قال الإمام القرطبي: "ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقله: (حُذِرَ الْعَفْوُ) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: (وَأْمُرُ بِالْعُرْفِ) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتتره عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"<sup>3</sup>. من أجل ذلك، كانت هذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق كلها، حتى قال جعفر الصادق: "أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"<sup>4</sup>.

والآية وإن كانت تخاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنها عامة في كل المسلمين، لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأُمَّته، قال الإمام القرطبي: "وهذا وإن كان خطاباً لنبيه عليه السلام، فهو تأديب لجميع خلقه"<sup>5</sup>.

1 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 1/313.

2 - أنظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، 3/1418.

3 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 7/344.

4 - البغوي: معالم التنزيل، 2/224.

5 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 7/347.

والإعراض له وقعه في النفس أكثر من غيره، لأن الإعراض يكون بالترك والإهمال، وهذا الأمر يتنافر مع النفس البشرية التي لا تحب العزلة، فالإنسان مدني بطبيعته، فعندما يرى أناسا تنفر عنه، فإنه سوف يراجع نفسه، وقد يُعَيَّر تفكيره وسلوكه، قال الأستاذ سيد قطب: "والإعراض يكون بالترك والإهمال، والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال، والمرور بها مر الكرام، وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب، وإضاعة الوقت والجهد، وقد ينتهي السكوت عنهم، والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها، بدلاً من الفحش في الرد واللجاج في العناد، فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم، فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير، إذ يرون صاحب الدعوة محتملاً معرضاً عن اللغو، ويرون هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون، فيسقطون من عيونهم ويُعزلون! وما أجد صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس!"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: استجابة المؤمنين لأمر ربهم، فأعرضوا عن الجاهلين

وإذا كان الله عز وجل قد أمر بالإعراض فقال: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، فإن المؤمنين قد التزموا بأوامر ربهم، فأعرضوا عن الجاهلين، حتى إن الله عز وجل قد خلد هذا الأمر على أنه من صفاتهم، فقال سبحانه: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)<sup>2</sup>.

فالمؤمنون في هذا الموضع تركوا الجاهلين سلاماً منهم، فقولهم هنا: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، ليس تحية منهم، بل بياناً منهم للمتاركة، قال الزجاج: "لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 1419/3.

<sup>2</sup> - سورة القصص، الآية 55.

<sup>3</sup> - الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السدي : معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق : عبد الجليل عبدو شليبي ،(بيروت ،عالم الكتب ، 1988) ، ط1 ، 149/4.

فهذه الكلمة: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، لها مقامها، فهي بين المؤمنين تحية، وهي شعار أهل الإسلام فيما بينهم، وقد تكون مع غير المسلمين، أما مع الجاهلين، فهي تعني الإعراض عنهم، وتركهم، قال الحسن البصري رحمه الله: "هذه الكلمة تحية بين المؤمنين، وعلامة الاحتمال من الجاهلين"<sup>1</sup>.

وهذه الآية بيان لإعراض المؤمنين عن كل أمر باطل، حتى قال الله عز وجل مطلقاً فيهم القول: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)، أي كل أمر باطل، قال الرازي: "واللغو ما حقه أن يُلغى ويُترك من العبث وغيره، وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه، بل يعرضون عنه إعراضاً جميلاً"<sup>2</sup>.

فهم يعرضون عن كل أمر باطل، ويُسلمون أنفسهم منه، وهذا من أدب أهل الإسلام، قال ابن عطية: "والمراد من هذا في هذه الآية: ما كان سباً وأذى، فأدب أهل الإسلام الإعراض عنه"<sup>3</sup>.

ولما كانت أمور الجاهلية كلها باطلة، فإن هذا يستدعي أن يكون أهل الإسلام أبعد الناس عنها، من أجل ذلك وصفوا أهل اللغو بأنهم (جاهلين)، وقالوا: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)، أي لا نريد أن نكون منهم، قال البغوي: "أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه، وقيل لا نريد أن نكون من أهل الجهل"<sup>4</sup>، وهذا إعراض عنهم.

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 225/24.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، 225/24.

<sup>3</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 292/4.

<sup>4</sup> - البغوي: معالم التنزيل، 450/3.

## المبحث الثالث: النهي عن التشبه بالجاهلية

أكرم الله عز وجل الإنسان بشريعة سليمة قويمه، وأمره باتباعها، ونهاه عن مخالفتها إلى سواها، فقال سبحانه: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَكِىُّ الْمُتَّقِينَ)<sup>1</sup>.

والمقصود من هذه الآيات هو النهي عن اتباع أهل الجاهلية، أو التشبه بهم، لأنهم هم المقصودون بقوله تعالى: (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، قال الإمام الشوكاني: "هم كفار قريش، ومن وافقهم"<sup>2</sup>، وقال النسفي: "أي: ولا تتبع ما لا حجة عليه، من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة"<sup>3</sup>.

من أجل ذلك نهى الإسلام عن التشبه بالجاهلية، بل جعلها من أبغض الأعمال إلى الله، وصاحبها من أبغض الناس إلى الله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليُهْرَق دمه"<sup>4</sup>.

فهذا الحديث صريح الدلالة في النهي عن التشبه بالجاهلية، قال ابن تيمية: "الابتغاء: هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية، دخل في هذا الحديث، والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة"<sup>5</sup>.

وقد حرّم النبي صلى الله عليه وسلم التشبه بدليل قطعي الدلالة، حتى أنه جعل من تشبهه بقوم فهو منهم، قال عليه الصلاة والسلام: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله

<sup>1</sup> - سورة الجاثية، الآيات (18-19).

<sup>2</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 7/5.

<sup>3</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 131/4.

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، حديث 6488، 2523/6.

<sup>5</sup> - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، 76/1.

وحده ولا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار، على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"<sup>1</sup>.

فهذا حديث صريح في حرمة التشبه بالجاهلية، قال ابن كثير: "والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً، وروى الإمام أحمد، وأبو داود: (من تشبه بقوم فهو منهم)، ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها"<sup>2</sup>.

والعلة في تحريم التشبه، أن التشبه يُؤلّد نوعاً من الحب والموالاتة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة"<sup>3</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرمة التشبه، فذكر نماذج من التشبه المذموم بالجاهلية، فذكر التشبه في سوء الظن بالله، فقال سبحانه: (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)<sup>4</sup>، وذكر التشبه بالجاهلية في التحاكم، فقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)<sup>5</sup>، وذكر التشبه بالجاهلية في التبرج، فقال سبحانه: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)<sup>6</sup>، وذكر التشبه بالجاهلية في الحمية الممقوتة، فقال سبحانه: سبحانه: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، حديث 5114، 123/9، وأبو داود: سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث 4031، 44/4. قال الشيخ الألباني الحديث (صحيح)، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته (بيروت، المكتب الإسلامي، 1988م)، رقم 2830، 545/1.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 149/1.

<sup>3</sup> - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، 221/1.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>5</sup> - سورة المائدة، الآية 50.

<sup>6</sup> - سورة الأحزاب، الآية 33.

<sup>7</sup> - سورة الفتح، الآية 26.

وهذه الأمور الأربعة، ذكرها القرآن الكريم لتكون دلالة على حرمة التشبه بمظاهر الجاهلية كلها، فالقرآن الكريم لم يقصد الحصر، بل أراد أن يذكر من العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، إذ إن التشبه بالكافرين لا يقتصر على صورة واحدة، أو صورٍ محدودة، فهناك صور وأشكال عديدة للتشبه المذموم، من أجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: "أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ"<sup>1</sup>.

وفي إضافة الأمور الأربعة - (الظن، الحكم، التبرج، الحمية) - إلى الجاهلية دلالة على أن الحرمة إنما هي لأنها من أمور الجاهلية، لأن إضافة المصدر إلى الصفة يفيد الاختصاص، قال الألويسي: "هذا من إضافة الموصوف إلى مصدر صفته، ومعناها الاختصاص بالجاهلية"<sup>2</sup>.

فدلّ هذا على أن علة التحريم هي التشبه، من أجل ذلك قال سيد قطب: "نهى عن تشبهه في مظهر أو لباس، ونهى عن تشبهه في حركة أو سلوك، ونهى عن تشبهه في قول أو أدب، لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور، ومنهجاً في الحياة عن منهج، وسمة للجماعة عن سمة، ثم هو نهى عن التلقي من غير الله ومنهجه الخاص، الذي جاءت هذه الأمة لتحقيقه في الأرض، نهى عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض، فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تتدسس في النفس لتقلد هذا المجتمع المعين، والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة للبشرية فينبغي لها أن تستمد تقاليدها - كما تستمد عقيدتها - من المصدر الذي اختارها للقيادة، والمسلمون هم الأعلون، وهم الأمة الوسط، وهم خير أمة أخرجت للناس، فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ ومن أين إذن يستمدون تقاليدهم ونظمهم؟"<sup>3</sup>.

وإذا ما أراد الإنسان أن يتحدث عن صور التشبه بالجاهلية في عصرنا هذا، فإنه لا يستطيع أن يحصر الأمور التي شاركنا الجاهلية فيها، بل إن عادات الجاهلية صارت في مجتمعاتنا

<sup>1</sup> - مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، بابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جداً، وهذه الجملة هي جزء منه.

<sup>2</sup> - الألويسي: روح المعاني، 94/4.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 129-128/1.

الإسلامية مثالا يحتذى ويقتدى، ورمزا للتقدم والتحضّر، ولا يسع الناظر إلا أن يستذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبِيرًا بِشَبِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُرْحَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ!"<sup>1</sup>.

وهذا حقا ما يجري في هذه الأيام، يقول الأستاذ أحمد شاکر: "فانظر ما يفعله المسلمون - بل المنتسبون للإسلام- في عصرنا، من التشبه بالكفار في كل شيء، حتى ليزيد الوقاحة من الكتاب أن يدخلوا شعائرهم أو ما يشبهها في عبادتنا، وحتى ضربوا على أنفسهم الذلة والصغار، باصطناع تشريع أوروبية الوثنية الملحدة، في قوانينهم المجرمة الكافرة، أعادنا الله من الفتن، وأعاد للمسلمين عقولهم ودينهم"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حديث 6889، 6/2669، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب أتباع سنن اليهود والنصارى، حديث 2669، 4/2054.

<sup>2</sup> - شاکر، أحمد: حكم الجاهلية، ص 69.

## المبحث الرابع

### وصف الأمم الكافرة بالجهل

وصف الله عز وجل الأمم الكافرة بأنها أمم جاهلة، وهذا الأمر قد يكون أشد وصف توصف به أمة، إذ إن الجهالة الفردية ذم ما بعده ذم، فكيف إذا كانت الجهالة عامة، بحيث توصف بها أمة بأكملها.

والمتأمل لآيات القرآن الكريم، يرى أن القرآن الكريم وصف أقواماً كافرة بعينها بالجهالة، فوصف قوم نوح بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم لوط بأنهم قوم يجهلون، ووصف قوم عاد كذلك بأنهم قوم يجهلون، ووصف بني إسرائيل بأنهم قوم يجهلون، ووصف أكثر الكافرين والمشركين بالجهالة على وجه العموم، وإليك بيان ذلك.

#### المطلب الأول: قوم نوح قومٌ يجهلون

وصف الله عز وجل قوم نوح بالجهالة، فقال سبحانه: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)<sup>1</sup>.

وقد استحق قوم نوح عليه السلام هذا الوصف، لأنهم خرجوا عن فطرتهم، وغيبوا عقولهم، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد المؤمنين، قال الرازي: "إن العقل والشرع تطابقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي، ومن إهانة الفاجر الكافر، فلو قلبت القصة، وعكست القضية، وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم، وطردت المؤمن التقي على سبيل الإهانة، كنت على ضد أمر الله تعالى، وعلى عكس حكمه، وكنت في هذا الحكم على ضد ما أمر الله تعالى من إيصال الثواب إلى المحقين، والعقاب إلى المبطلين، وحينئذ أصير مستوجباً للعقاب العظيم، فمن ذا الذي ينصرنى من الله تعالى، ومن الذي يخلصني من عذاب الله، أفلا تذكرون فتعلمون أن ذلك لا يصح"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سورة هود، الآية 29.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 173/17.



وجهل قوم نوح هنا هو جهل حال، لأنهم جهلوا عاقبة طرد المؤمنين، قال الألوسي: "ولكني أراكم قوما تجهلون: أي بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بمنزلتهم عند الله تعالى، وبما يترتب من المحذور على طردهم، وبركاكة رأيهم في التماس ذلك، وتوقيف إيمانهم عليه، وغير ذلك وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار، وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم، وجوز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير، وفعل ما يشق عليه، لا بمعنى عدم العلم المذموم<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: قوم عاد قومٌ تجهلون

وحال قوم عاد كحال سابقهم قوم نوح، فكما وصف الله عز وجل قوم نوح بالجهالة، فقد وصف قوم نوح بأن الجهالة هي شأنهم، فقال جل في علاه: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)<sup>2</sup>.

وأراد هود عليه السلام من وصف قومه بالجهالة أن يبين لهم بأن الجهالة هي شأنهم، قال الألوسي: "ولكن أراكم قوما تجهلون: أي شأنكم الجهل، ومن آثار ذلك أنكم تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل، من الإتيان بالعذاب"<sup>3</sup>.

إلا أن قوم هود لم يرددوا من توبيخ نبيهم لهم، ووصفه لهم بالجهالة، بل ظلوا مصرين على جهلهم، وسفاهتهم، وحمافتهم، من أجل ذلك جاء الوصف لهم بصيغة المضارع (قَوْمًا تَجْهَلُونَ)، ليكون دلالة على استمرارهم في الجهالة، قال الشوكاني: "(وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ): حيث بقيتم مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتكم به"<sup>4</sup>.

ولشدة جهل قوم عاد، وشدة عنادهم، باتوا يظنون أن إصرارهم على كفرهم - مع علمهم بأنه باطل - قهراً للرسول، فأعرضوا عنه، وتركوا دعوته، ولكن هيهات هيهات، قال الأستاذ

<sup>1</sup> - الألوسي: روح المعاني، 42/12.

<sup>2</sup> - سورة الأحقاف، الآية 22-23.

<sup>3</sup> - الألوسي: روح المعاني، 25/26.

<sup>4</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 23/5.

سيد قطب: "وأية حماقة، وأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح، والأخ القريب بمثل هذا التحدي والتكذيب؟"<sup>1</sup>.

ومن أجل ذلك، فسّر بعض المفسرين الجهالة في هذا الموضع بالإعراض، قال الواحدي: "وَلَكَيْتِي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ": "وأنتم تعرضون"<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: قوم لوط قومٌ يجهلون

وقوم لوط كان لهم نصيب من الجهالة، فقال الله عز وجل فيهم: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ● أَعْيُنُكُمْ لَأَأْتِئْنَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)<sup>3</sup>.

فقد سمى الله عز وجل قوم لوط بأنهم: (قوم يجهلون)، أي يجهلون أن هذا الفعل متناقض مع كل عُرف، ومع كل دين، قال سيد قطب: "هي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشذّ أفراد لأسباب مرضية نفسية، أو لملازمات وقتية، فيميل الذكور لإتيان الذكور، وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود، حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة، معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء، أما أن يشيع هذا الشذوذ، فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقاً في تاريخ الجماعات البشرية!"<sup>4</sup>.

وجهالة قوم لوط ليست كجهالة سابقهم، بل هي أشد وأعظم، وذلك ناشئ عن قباحة فعلهم، من أجل ذلك حوت جهالتهم معان كثيرة، وكل معنى من تلك المعاني تنطبق عليهم، قال الألوسي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): أي تفعلون فعل الجاهلين بقبح ذلك، أو يجهلون العاقبة، أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون، أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون"<sup>5</sup>.

1 - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 6/3266.

2 - الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 2/997.

3 - سورة النمل، الآيات (54-55).

4 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 5/2647.

5 - الألوسي: روح المعاني، 19/216.

فقوم لوط تجاوزوا كل الحدود، واخترقوا كل الأعراق، وخرجوا عن كل عادة، بل وتجروا على حدود الله، وانتهكوا حدوده، قال السعدي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): متجاوزون لحدود الله، متجرؤون على محارمه"<sup>1</sup>.

وحقيقة الأمر، فإن قوم لوط قوم جاهلون، لأنهم لم يفرقوا بين الحسن والقبیح، وبين الأمر اللائق من عدمه، قال البيضاوي: "(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبیح"<sup>2</sup>.

وقد تميزت جاهلية قوم لوط على غيرها من الجاهلية، بأنهم أناس تفاخروا بجاهليتهم، فقالوا للوط عليه السلام ومن آمن معه: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ)<sup>3</sup>. وهذا رد يدل على عظم جاهليتهم، قال سيد قطب: "وقولهم هذا قد يكون تهكماً بالتطهر من هذا الرجس القذر، وقد يكون إنكاراً عليه أن يسمى هذا تطهراً، فهم من انحراف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما في ميلهم المنحرف من قذارة، وقد يكون ضيقاً بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ!! على أية حال لقد هموا همهم، وحزموا أمرهم، وأراد الله غير ما كانوا يريدون"<sup>4</sup>.

#### المطلب الرابع: بنو إسرائيل قومٌ يجهلون

بنو إسرائيل قوم يجهلون، لأنهم قابلوا نعم الله عز وجل بالكفر به، فقال فيهم جل سبحانه: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 670/1.

<sup>2</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 272/4.

<sup>3</sup> - سورة النمل، الآية 56.

<sup>4</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 2648/5.

<sup>5</sup> - سورة الأعراف، الآية 138.

والفعل الذي صدر عن بني إسرائيل، فعل لا يمكن أن يتخيله عقل، لأن العقل السليم يرفض أن يجازي المحسن بالإساءة، فكيف إذا كان قابله بالحدود، قال البيضاوي: "وصفهم بالجهل المطلق وأكدته، لبعدهما صدر عنهما بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل"<sup>1</sup>.

فهذه جهالة مشوبة بالجحد والعناد والاستكبار، جهالة مصحوبة بالكفر بالله عز وجل، ربهم وخالقهم، قال الشوكاني: "وصفهم بالجهل: لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم - أعني بني إسرائيل - أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلونا"<sup>2</sup>.

لذلك لم يقل ربنا جل سبحانه: من أي شيء جهالتهم، بل جعلها جهالة عامة، لأنها جهالة تتعلق بتوحيد الله سبحانه، والتي هي أساس كل جهل، وفاتحة لكل أنواع الجهالة، قال سيد قطب: "ولم يقل تجهلون ماذا؟ ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل، الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من حماقة ضد العقل! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة، وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد، وأنه ما من علم ولا عقل يقود إلى غير هذا الطريق...، إن العلم والعقل يواجهان هذا الكون بنواميسه التي تشهد بوجود الخالق المدبر، وبوحدانية هذا الخالق المدبر، فعنصر التقدير والتدبير بارز في هذه النواميس، وطابع الوحدة ظاهر كذلك فيها وفي آثارها التي يكشفها النظر والتدبر - وفق المنهج الصحيح - وما يغفل عن ذلك كله، أو يعرض عن ذلك كله، إلا الحمقى والجهال، ولو ادعوا (العلم) كما يدعيه الكثيرون!"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 55/3.

<sup>2</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 240/2.

<sup>3</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 1366/3.

## المطلب الخامس: الجهالة صفة عامة لمعظم الكافرين

لما وصف الله عز وجل أمما بعينها بالجهالة، ختم ذلك ببيان أن أكثر الكافرين يجهلون، فقال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)<sup>1</sup>.

والجهالة العامة التي استوى كل كافر في النسبة إليها، هي جهالة الحق، و جهالة الإتياع والانقياد إليه، قال القرطبي: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ": أي يجهلون الحق"<sup>2</sup>.

فهم لجهلهم اعتقدوا أن الإيمان بيدهم، متى ما شاءوا آمنوا، وكيفما شاءوا يؤمنوا، إلا أن الله عز وجل بين لهم أن هذا من جهالتهم، وأن الإيمان بيد الله سبحانه، يهدي من يشاء إليه، ويصرفه ممن يشاء، قال سيد قطب: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم، متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضلته"<sup>3</sup>.

وهذه الجهالة هي التي تحول بينهم وبين إيمانهم بالله عز وجل، حتى كفروا به، وتركوا الانقياد لدينه، قال الشوكاني: "جهلا يحول بينهم وبين إدراك الحق، والوصول إلى الصواب"<sup>4</sup>.

فإن الله عز وجل يعلم بسابق علمه الأزلي، أن هؤلاء الكافرين لن يؤمنوا حتى لو رأوا من الآيات ما هو العجب العجاب، إلا أن الكافرين يجهلون ذلك، قال الألوسي: "والمعنى أن حالهم كما شرح، ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات، لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ، فيقسمون بالله تعالى جهد إيمانهم على ما لا يكاد يوجد أصلا"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الأنعام، الآية 111.

<sup>2</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 67/7.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1188/3.

<sup>4</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 153/2.

<sup>5</sup> - الألوسي: روح المعاني، 4/8.

وإذا كان الله عز وجل قد وصف أكثر الكافرين بالجهالة، إلا أن الجهالة تشملهم جميعاً، جهالة الوصول إلى الحق وإدراكه، إذ لو لم يكونا كذلك لآمنوا بالله عز وجل، خالقهم، ورازقهم، والمنعم المتفضل عليهم، والمستحق وحده للعبادة، ولذلك قال البيضاوي: "أسند الجهل إلى أكثرهم، مع أن مطلق الجهل يعمهم"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 443/2.

## المبحث الخامس

### بيان براءة الأنبياء عليهم السلام من الجهل والجاهلية

وإذا كان الله عز وجل قد أثبت جهالة الكافرين والمشركين، فإنه سبحانه قد نزه الرسل عنها، ونفاها عنهم بكل معانيها، وأمرهم بالابتعاد عن أهل الجهالة، بل ونهاهم عن الخوض معهم، وهذا بيان ذلك.

### المطلب الأول: نوح عليه السلام يؤمر ألا يكون من الجاهلين

أمر الله عز وجل نبيه نوح عليه السلام ألا يكون من الجاهلين، فقال سبحانه: (قَالَ يَتْلُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>1</sup>.

وهذه الآية وإن كان ظاهرها النهي، إلا أن المراد منها النهي، نفي الجهالة عن نوح عليه السلام، قال ابن العربي: "وهذه زيادة من الله، وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين"<sup>2</sup>، وقال ابن جزّي الكلبّي: " (إنّ) في موضع مفعول من أجله، تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام"<sup>3</sup>.

وأشار الألوسي إلى أن هذه الآية مثل قول الله عز وجل: (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)<sup>4</sup>، فهي لا تدل على أنه من الكافرين، بل تنفي عنه ذلك، قال الألوسي: " (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) لا يدل على أنه كافر عنده، بل هو نهي عن الدخول في غمارهم، وقطع بأنه ذلك يوجب الغرق على الطريق البرهاني . . . ، وكأنه عليه السلام حمل مقاولته على غير المكابرة والتعنّت،

<sup>1</sup> - سورة هود، الآية 46.

<sup>2</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 503/2.

<sup>3</sup> - ابن جزّي الكلبّي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4 - 1403هـ - 1983م)، 107-106/2.

<sup>4</sup> - سورة هود، الآية 42.

لغلبة المحبة وذهول عن إعطاء التأمل حقه، فلذلك طلب ما طلب فعوتب بأن مثله في معرض الإرشاد والقيام بأعباء الدعوة تلك المدة المتطاولة لا ينبغي أن يشتهه عليه كلام المسترشد والمعاند ويرجع هذا إلى ترك الأولى، وهو المراد بقوله سبحانه: (إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>1</sup>.

وقد يكون المراد من الآية مفهوم الخلاف، بمعنى أنك إذا سألت ما ليس لك به علم فإنك سوف تكون من الجاهلين، فلا تسألن ما ليس لك به علم حتى لا تكون منهم، قال سيد قطب: "إني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، أو حقيقة وعد الله وتأويله، فوعد الله قد أول وتحقق، ونجا أهلك الذين هم أهلك على التحقيق"<sup>2</sup>.

والآية وإن كان المراد منها النفي، إلا أنها تحمل بين ثناياها النهي أيضا، فهي نفت عن نوح عليه السلام الجهالة، ونهته أيضا عنها، قال القرطبي: "(إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ): أي أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك لئلا تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين، أي الآثمين، ومنه قوله تعالى: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)<sup>3</sup>: أي يحذركم الله وينهاكم"<sup>4</sup>.

### المطلب الثاني: تنزيه يوسف عليه السلام من أن يكون من الجاهلين

يوسف عليه السلام دعا ربه أن يصرف عنه كيد النسوة اللواتي راودنه عن نفسه، لأنه إذا لم يصرف عنه كيدهن فإنه سيكون من الجاهلين، قال تعالى حكاية عنه: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>5</sup>.

1 - الألويسي: روح المعاني، 70/12.

2 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1880/4.

3 - سورة النور، الآية 24.

4 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 48/9.

5 - سورة يوسف، الآية 33.



وقد صرف الله عز وجل عن نبيه يوسف عليه السلام كيدهن، وهذا يقتضي أن يكون قد صرف عنه الجهالة، ووقاه منها، وأبعده عنها، قال الرازي: "طلب من الله سبحانه وتعالى أن يحدث في قلبه أنواعاً من الدواعي المعارضة، النافية لدواعي المعصية، إذ لو لم يحصل هذا المعارض لحصل المرجح للوقوع في المعصية خالياً عما يعارضه، وذلك يوجب وقوع الفعل"<sup>1</sup>.

والذي يؤكد أن الله عز وجل نزه نبيه عن الجهالة، أن الله عز وجل قال: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)<sup>2</sup>، وهذا يقتضي أنه صرف عنه كل أمر محظور قبل هذه الآية، بما في ذلك كيد النساء، والجهالة، قال ابن كثير: "عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع"<sup>3</sup>.

### المطلب الثالث: موسى عليه السلام يستعيز بالله من الجاهلية

ذكر القرآن الكريم استعاذة موسى عليه السلام من أن يكون من الجاهلين، قال جل سبحانه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>4</sup>.

ففي استعاذة موسى عليه السلام دليل قطعي على براءته منها، إذ كيف يستعيز بالله من أمر ثم هو يفعله، ولذلك قال الألوسي: "وقد نفاه عليه السلام عن نفسه قصداً إلى نفي ملزومه الذي رمي به...، والاستعاذة بالله تعالى من ذلك من باب الأدب والتواضع معه سبحانه، كما في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ)<sup>5</sup>، لأن الأنبياء معصومون عن مثل ذلك"<sup>6</sup>، ذلك"<sup>6</sup>، وقال ابن الجوزي: "وإنما انتفى من الهزاء لأن الهزئ جاهل لاعب"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 106/18.

<sup>2</sup> - سورة يوسف، الآية 34.

<sup>3</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 478/2.

<sup>4</sup> - سورة البقرة، الآية 67.

<sup>5</sup> - سورة المؤمنون، الآية 97.

<sup>6</sup> - الألوسي: روح المعاني، 286/1.

<sup>7</sup> - ابن الجوزي: زاد المسير، 97/1.

وقد دلت الآية على كره موسى عليه السلام للجهل، لدرجة أنه استعاذ بالله عز وجه من أن يكون من أهله، والنبى لا يستعيز بالله إلا من شيء عظيم، قال أبو السعود: "لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله سبحانه جهل وسفه، نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على أبلغ وجه وآكده، بإخراجه مخرج مالا مكروه وراءه، بالاستعاذة منه استفظاعا له، واستعظاما لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها"<sup>1</sup>.

وأشار سيد قطب رحمه الله، إلى حكمة موسى عليه السلام في نفي الجهالة عنه، وفي تقيده لبني إسرائيل على اتهامهم له بذلك، فيقول: "كان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيز بالله وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه: قال: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)"<sup>2</sup>.

#### المطلب الرابع: محمد عليه السلام نُهي أن يكون من الجاهلين

نهى الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون من الجاهلين، فقال سبحانه: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطْعِمَتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>3</sup>.

ولم يكتف الله عز وجل بنهي نبيه، بل وأمره بالإعراض عن الجاهلين، فقال جل سبحانه: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)<sup>4</sup>.

وهذا الخطاب من الله عز وجل لنبيه بصيغة الأمر، يقتضي أن يُقابل بالطاعة والاستجابة من النبي صلى الله عليه وسلم، والتوفيق والإعانة من الله عز وجل، وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم مُنزّه عن الجاهلية، بريء منها، معرض عنها.

<sup>1</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم، 1/111.

<sup>2</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1/78.

<sup>3</sup> - سورة الأنعام، الآية 35.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف، الآية 199.

ونهي الله عز وجل عن الجاهلية، وأمره بالإعراض عنها، لا يقتضي أن يكون فيه شيء منها، بل المقصود إبعاده عن جملة الجاهلين، وتنزيهه صلى الله عليه وسلم عنهم، قال الرازي: "فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ): نهي له عن هذه الحالة، وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على مثل هذه الحالة، كما أن قوله: (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)<sup>1</sup>، لا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أطاعهم وقبل دينهم، والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك، فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل، والمقصود من تغليظ الخطاب: التباعد والزرر له عن مثل هذه الحالة، والله أعلم"<sup>2</sup>.

فهذه النماذج الأربعة، ما هي في الحقيقة إلا تأكيدا لمبدأ سلامة الأنبياء عليهم السلام من الجهالة، وبياناً لبراءتهم منها، فما انطبق على نوح، ويوسف، وموسى، ومحمد عليهم السلام ينطبق على الأنبياء كلهم، لأن دعوة الأنبياء واحدة، دينهم واحد، وربهم واحد، وهدفهم واحد، وعدوهم واحد، فلا بد أن يكونوا متشابهين في كثير من صفات الكمال البشري، منزهين عما يشوب ذلك أو يعارضه، أو يمنع.

بل إن بعض العلماء أشار إلى أن هذا الأمر ينطبق أيضا على المؤمنين الصادقين، أتباع الأنبياء، فهم كذلك مبرؤون من الجهالة، ولذلك لما فسّر القرطبي قول الله عز وجل: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، قال: "الخطاب له صلى الله عليه وسلم، والمراد الأمة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الأحزاب، الآية 48.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 172/12.

<sup>3</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 418/6.

## الفصل الرابع

### آثار الجاهلية على الفرد والمجتمع

المبحث الأول: انتشار التبرج والسفور

المبحث الثاني: الحمية الجاهلية والتعصب

المبحث الثالث: الظن السيئ بالله تعالى وحكمه

المبحث الرابع: الوقوع في المعصية وارتكاب الذنوب

المبحث الخامس: نشر الفساد والشائعات المغرضة

المبحث السادس: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى

## الفصل الرابع

### آثار الجاهلية على الفرد والمجتمع

تحدث القرآن الكريم عن الجاهلية بوصفها داءً خطيراً يؤثر سلباً على الأفراد والمجتمعات، والمتتبع لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن ذلك؛ يلمس وبكل وضوح أن القرآن الكريم تحدث عن كل مظهر من مظاهر الجاهلية على حدة، مبيّناً الآثار المترتبة على هذا المرض، وتفصيل ذلك فيما يلي:

### المبحث الأول

#### انتشار السفور والتبرج

تحدث القرآن الكريم عن التبرج بوصفه داءً جاهلياً له تأثيره على الأفراد والمجتمعات، فقال جل سبحانه: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)<sup>1</sup>.

لقد جاء الإسلام فوجد المجتمع العربي - كغيره من المجتمعات في ذلك الحين - ينظر إلى المرأة على أنها أداة للمتاع، وإشباع الغريزة، ومن ثم ينظر إليها من الناحية الإنسانية نظرة هابطة؛ كذلك وجد في المجتمع نوعاً من الفوضى في العلاقات الجنسية، ووجد نظام الأسرة مخلخلاً، أدى هذا وذلك إلى هبوط النظرة إلى الجنس وانحطاط الذوق الجمالي والاحتفال بالجسديات العارمة، وعدم الالتفات إلى الجمال الرفيع الهادئ النظيف؛ يبدو هذا في أشعار الجاهلين حول جسد المرأة، والتفاتاتهم إلى أغلظ المواضيع فيه، وإلى أغلظ معانيه! فلما أن جاء الإسلام أخذ يرفع من نظرة المجتمع إلى المرأة ويؤكد الجانب الإنساني في علاقات الجنسين فليست هي مجرد إشباع لجوعة الجسد، وإطفاء لفورة اللحم والدم، إنما هي اتصال بين كائنين إنسانيين من نفس واحدة، بينهما مودة ورحمة، وفي اتصالهما راحة وسكن، ولهذا الاتصال

<sup>1</sup> - سورة الأحزاب، الآية 33.

هدف مرتبط بإرادة الله في خلق الإنسان، وعمارَة الأرض، وخلافة هذا الإنسان فيها بسنة الله؛ كذلك أخذ يعنى بروابط الأسرة ويتخذ منها قاعدة للتنظيم الاجتماعي ويعدها المحضن الذي تنشأ فيه الأجيال وتدرج ، ويوفر الضمانات لحماية هذا المحضن وصيانتته، ولتطهيره كذلك من كل ما يلوث جوه من المشاعر والتصورات<sup>1</sup>.

فالقرآن الكريم نهى عن التبرج فقال: (وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)، ثم علل ذلك ببيان أن التبرج رجس وسوء لا بد من التطهر منه، فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، قال أبو السعود: "أي الذنب المدنس لعرضكم؛ وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف، ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن، وصرح بالمقصود"<sup>2</sup>، وقال الرازي: "يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله، ولا تتفعن الله فيما تأتين به، وإنما نفعه لكن، وأمره تعالى إياكن لمصلحتكن"<sup>3</sup>.

فدل ذلك على أن التبرج مرض يعود بالوبال على من أصيب به، ومن رحمة الله عز وجل على البشرية أنه يسر سبل الوقاية من هذا المرض الخطير، فشرع الحجاب دواءً له، وإزالة لتبعاته، قال الطبري: "يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً"<sup>4</sup>.

فالحجاب والحشمة لازم لزوال الرجس والسوء، قال الرازي: "وقوله تعالى: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ) فيه لطيفة؛ وهي أن الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحل، فقوله تعالى: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) أي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم، أي يلبسكم خلع الكرامة"<sup>5</sup>.

1 - انظر، قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 2857/5-2858.

2 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 103/7.

3 - الرازي: التفسير الكبير، 181/25.

4 - الطبري: جامع البيان، 6/22.

5 - الرازي: التفسير الكبير، 181/25.

وقد أراد الله عز وجل من هذا البيان؛ أن يُنشئ مجتمعا سليما عفيفا طاهرا، لا تشوبه الشهوات، ولا تظهر فيه نساء كالرجال، قال سيد قطب: "وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها، ويأمن الزوج على زوجته، ويأمن الأولياء على حرمتهم وأعراضهم، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم، حيث لا تقع العيون على المفاتن، ولا تفود العيون القلوب إلى المحارم؛ فإما الخيانة المتبادلة حينذاك، وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب، بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان!"<sup>1</sup>.

وقد حذر الإسلام من التبرج أشد تحذير؛ بل جعل فتنة النساء أشد فتنة على الرجال، قال صلى الله عليه وسلم: "ما تركتُ بعدي فتنةً أضرتُ على الرجال من النساء"<sup>2</sup>؛ من أجل ذلك شرع الإسلام الحجاب، وأمر المرأة بالعفة، واستخدم الوسائل الكثيرة التي تؤول إلى مجتمع طاهر بعيد عن الفواحش.

والأكد من ذلك؛ أن الإسلام جعل التبرج كبيرة من الكبائر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبايع النساء إلا بعد أن يبايعنه على ترك التبرج والابتعاد عنه، بل وكان عليه السلام يقرنه بأكبر الكبائر؛ كالشرك والزنا، فقد روى الإمام أحمد: أنه جاءت أميمة بنت رقيقة، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعه على الإسلام، فقال: "أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا، ولا تسرقني، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي بهتان فتفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحني، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى"<sup>3</sup>؛ وهذا دليل على خطورته.

واستخدام كلمة (الرجس) في الآية الكريمة، له مدلول جميل، وبيان قوي على شناعة التبرج، قال الزمخشري: "واستعار للذنوب: الرجس ... لأنّ عرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنس، كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات، فالعرض معها نقي مصون كالثوب

<sup>1</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 210/1.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، حديث 4808، 1959/5، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث 2740، 2097/4.

<sup>3</sup> - أخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث 6850، 437/11، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

الطاهر؛ وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيهم لهم وأمرهم به"<sup>1</sup>، وقال أبو السعود: "واستعارة الرّجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها"<sup>2</sup>.

وللتأكيد على أهمية الحجاب، وانطلاقاً من الآية السابقة في تسمية الظهر بالتقوى، فإن القرآن الكريم قد جعل اللباس الساتر علامةً على التقوى، وبياناً أنّ الزّيّ وإن كان ستراً جسدياً ومظهراً جمالياً، كما جاء في قول الله تبارك وتعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)<sup>3</sup>، فإنه كذلك شعارٌ رُوحِيٌّ على الجمال الوجداني، قال السعدي: " فإنّ لباس التقوى يستمرّ مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح، وأما اللباس الظاهريُّ فغايبته أن يستتر العورة الظاهرة في وقتٍ من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان...، وأيضاً فبتقدير عدم هذا اللباس؛ تتكشف عورته الظاهرة التي لا يضرّه كشفها مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى؛ فإنها تتكشف عورته الباطنة، ويناله الخزي والفضيحة"<sup>4</sup>.

وينبغي الإشارة إلى أن هذا الداء هو من أكثر الأمراض انتشاراً في هذا الزمان، حتى لأنك تُدهش في بعض الأماكن حين ترى امرأة ملتزمة حجابها، والسبب في ذلك؛ الحملات الشرسة التي قادها لصوص الثياب<sup>5</sup> من تشويه للحجاب، وادّعائهم أنه مظهر للتخلف والرجعية، قال الأستاذ أحمد شاکر: "لصّ المجددون من الشباب المفتونين بهم دينهم وعقولهم، وسرقوا من الفتيات عفافهن وحياءهن، والآن يريدون أن يسرقوا من الفريقين ثيابهم، بالدعوة إلى (العري)، قاتلهم الله أنى يؤفكون"<sup>6</sup>

1 - الزمخشري: الكشاف، 546/3.

2 - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 103/7.

3 - سورة الأعراف، الآية 26.

4 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 286/1.

5 - هكذا سماهم أحمد شاکر في كتابه: حكم الجاهلية، ص162.

6 - شاکر، أحمد: حكم الجاهلية، 162.



## المبحث الثاني

### التعصب و الحمية الجاهلية

المرض الثاني الذي تحدث عنه القرآن الكريم، وبين آثاره ونتائجه، وذكر عواقبه الوخيمة، هو الحمية؛ لكن! أي حمية؟ إنها الحمية للعرق واللون، الحمية للقبيلة والعصبة، حمية بعيدة عن الدين، بعيدة عن الشرع، حمية ظالمة سافرة، قال فيها عليه الصلاة والسلام: "دعوها فإنها منتنة"<sup>1</sup>، وقال فيها أيضا: "ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليَّةِ تحتَ قدميَّ مَوْضُوعٌ"<sup>2</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المرض في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)<sup>3</sup>.

والحمية صفة انتسب إليها أهل الجاهلية، حتى صارت وصفا لهم، وسماها الله عز وجل بأنها (حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ)، قال الرازي: "أضاف الحمية إلى الجاهلية، وأضاف السكينة إلى نفسه حيث قال: (حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ)، وقال: (سَكِينَتُهُ)...؛ لأن الحمية في نفسها صفة مذمومة، وبالإضافة إلى الجاهلية تزداد قبحاً، وللحمية في القبح درجة لا يعتبر معها قبح القبائح كالمضاف إلى الجاهلية، وأما السكينة في نفسها وإن كانت حسنة؛ لكن الإضافة إلى الله فيها من الحسن ما لا يبقى معه لحسن اعتبار"<sup>4</sup>، وقال الألويسي: "جعلوا الحمية راسخة في قلوبهم، ولكونها مكتسبة لهم من وجه نسب جعلها إليهم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)، حديث رقم 4622، 1861/4، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، حديث رقم 2584، 1998/4.

<sup>2</sup> - رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جدا، وهذه الجملة هي جزء منه.

<sup>3</sup> - سورة الفتح، الآية 26.

<sup>4</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 88/28.

<sup>5</sup> - الألويسي: روح المعاني، 116/26.

وقد بنى هؤلاء القوم جاهليتهم على الظلم والجور، وعلى المصالح والمطامع، ونزعوا منها كل إنسانية أو دين، يقول الأستاذ سيد قطب: "**حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ**): حمية لا لعقيدة ولا لمنهج؛ إنما هي حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت، الحمية التي جعلتهم يقفون في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، يمنعونهم من المسجد الحرام، ويحبسون الهدى الذي ساقوه، أن يبلغ محله الذي ينحر فيه، مخالفين بذلك عن كل عرف وعن كل عقيدة، كي لا تقول العرب إنه دخلها عليهم عنوة، ففي سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريهة في كل عرف ودين، وينتهكون حرمة البيت الحرام الذي يعيشون على حساب قداسته، وينتهكون حرمة الأشهر الحرم التي لم تنتهك في جاهلية ولا إسلام! وهي الحمية التي بدت في تجبيهم لكل من أشار عليهم - أول الأمر - بخطة مسالمة، وعاب عليهم صدّ محمد ومن معه عن بيت الله الحرام، وهي كذلك التي تبدت في رد سهيل بن عمرو لاسم الرحمن الرحيم، ولصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الكتابة، وهي كلها تنبع من تلك الجاهلية المتعجرفة المتعنتة بغير حق؛ وقد جعل الله الحمية في نفوسهم على هذا النحو الجاهلي، لما يعلمه في نفوسهم من جفوة عن الحق والخضوع له؛ فأما المؤمنون فحماهم من هذه الحمية، وأحل محلها السكينة والتقوى"<sup>1</sup>.

وللمفارقة بين الحمية والسكينة، وتأكيدا على الفرق بينهما، فإن الله عز وجل أسبق الحمية بكلمة **(جَعَلَ)**، وأسبق السكينة بكلمة **(أَنْزَلَ)**، وفي ذلك كما يقول الرازي: "إشارة إلى أن الحمية كانت مجعولة في الحال، في العرض الذي لا يبقى، وأما السكينة فكانت كالمحفوظة في خزانة الرحمة، معدة لعباده فأنزلها"<sup>2</sup>.

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن هذه الآية بمفهوم المخالفة، فإننا نقول: بأن الذي يجعل الحمية في قلبه فإن السكينة لا تنزل عليه، وإن كلمة التقوى لا تلزمه، وهم ليسوا بأحق بها من غيرهم، ولذلك قال الله عز وجل في الآية التي قبلها: **(لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ)<sup>3</sup>**، قال الرازي: "أي لعذباهم حين جعلوا في قلوبهم الحمية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 6/3329.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 88/28.

<sup>3</sup> - سورة الفتح، الآية 25.

<sup>4</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 88/28.

وإذا ما تحدثنا بواقعية، وربطنا هذه الآيات بالواقع المعاش؛ فإننا نرى الكثير من الناس إنما تحركه الحمية والعصبية، فينطق بكلمة أو يقول برأي أو يفهم مسألة وفق هذا التوجه، ويكون الأثر خطير جداً، بل هو سبب خراب الشعوب، وزوال الأمم، يقول الجاحظ: "العصبية التي هلك بها عالمٌ بعد عالمٍ، والحمية التي لا تُبقي ديناً إلاّ أفسدته، ولا دُنيا إلاّ أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهبِ الشعوبية"<sup>1</sup>، وهذا السلوك لا يليق بالمسلم، بل على المسلم التزام كلمة التقوى؛ وهي كلمة الحق والعدل والإنصاف، ويندرج تحتها كل خير أمر به الشرع.

وإذا كان دعاة الحمية يدعون إلى حمية ويتفاخرون بها، ويبرقونها شرقية أو غربية، ويدينون لغير دين الحق؛ فإن الإسلام تبرأ من كل عصبية، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَّهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ، لَيَنْتَهِينَ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجَعَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ"<sup>2</sup>

هكذا حارب الإسلام الحمية، وأنشأ مجتمعاً سليماً نقياً، ولاؤه لله، وبراءته من أعداء الله، لا يدين لعصبة ولا عرق، ولا أمر دون آخر، إنما هو الدين والتوحيد، وإنما هي كلمة التقوى، يقول الأستاذ سيد قطب: "ولقد استطاعت التربية الإسلامية، بالمنهج الرباني، أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية، والاعتقاد لهذا السلوك الكريم، وكانت أبعد ما تكون عن هذا المستوى وعن هذا الاتجاه؛ كان المنهج العربي المسلوك والمبدأ العربي المشهور: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، كانت حمية الجاهلية، ونعرة العصبية، كان التعاون على الإثم والعدوان أقرب وأرجح من التعاون على البر والتقوى، وكان الحلف على النصرة في الباطل قبل الحق، وندر أن قام في الجاهلية حلف للحق؛ وذلك طبيعي في بيئة لا ترتبط بالله، ولا تستمد تقاليداً ولا أخلاقاً من منهج الله وميزان الله... ثم جاء الإسلام؛ جاء المنهج الرباني للتربية، جاء ليقول للذين آمنوا: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ

<sup>1</sup> - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1

- 1399هـ - 1979م)، 20/3.

<sup>2</sup> - سبق تخريجه: ص 95.

تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>1</sup>، جاء ليربط القلوب بالله، وليربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله، جاء ليخرج العرب - ويخرج البشرية كلها - من حمية الجاهلية، ونعرة العصبية، وضغط المشاعر والانفعالات الشخصية والعائلية والعشائرية في مجال التعامل مع الأصدقاء والأعداء...، والمسافة الشاسعة بين درك الجاهلية، وأفق الإسلام هي المسافة بين قول الجاهلية المأثور: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، وقول الله العظيم: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)؛ وشتان شتان!<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سورة المائدة، الآية 2.

<sup>2</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 2/839-840.

## المبحث الثالث

### الظن السيء بالله تعالى وحكمه

المرض الثالث الذي تحدّث عنه القرآن الكريم هو سوء الظن بالله؛ مشيرا إلى تبعاته السلبية، وآثاره الوخيمة على الفرد والمجتمع، ناسبا إياه في نهاية المطاف إلى الجاهلية؛ ليدل على شناعته، فقال جل سبحانه: (وَطَآيِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)<sup>1</sup>.

والجاهلية بحدّ ذاتها أمر قبيح، فكيف إذا أُضيف إليها سوء الظن بالله، قال الرازي: "سوء الظن بالله في نفسه صفة مذمومة، وبالإضافة إلى الجاهلية يزداد قبحاً"<sup>2</sup>.

والمراد من نسبة الظن إلى الجاهلية، هو تفجير المسلمين منه، ودعوتهم إلى تركه والابتعاد عنه، قال النسفي: "ظن أهل الجاهلية أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله"<sup>3</sup>.

والمخاطب في هذه الآية هم المنافقون، فهم الذين يُسيؤون الظن بالله، ويهملون هم أنفسهم ويهملون سواهم، ولذلك قال الطبري مفسرا هذه الآية "(وَطَآيِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ): هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله، وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومعل عليه أهل الكفر به"<sup>4</sup>، وقال النسفي: "هم المنافقون ما يهمهم إلا هم أنفسهم وخلصها، لاهم الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 88/28.

<sup>3</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 186/1.

<sup>4</sup> - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 141/4.

<sup>5</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 186/1.

وقد أشارت الآيات إلى أن هذا الصنف من الناس، الظانين بالله غير الحق، دائماً ما يكونوا أبعد الناس عن الحق، وغالباً ما يعادوه، من أجل ذلك قال في حقهم جل سبحانه: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)، أي أن صنيعهم على غير الحق، قال الطبري: "المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبين قوم وأرعبه وأخذله للحق، يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة، إنما هم أهل شك وريبة في أمر الله"<sup>1</sup>، وقال ابن الجزري: "معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم"<sup>2</sup>.

من أجل ذلك نهت هذه الآيات؛ عن الظن السيئ بالله تعالى، وعن لازم ذلك ونتيجته، فكل ظن سيء، يُؤلِّدُ إِتِّبَاعاً لغير الحق، ولا يزال سوء الظن بصاحبه حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، قال الإمام سيد قطب: "وفي هذه الآية يصل السياق إلى العقدة التي تحيك في بعض الصدور، والشبهة التي تجول في بعض القلوب، والعتاب الذي تجيش به بعض الأرواح، وهي ترى أعداء الله وأعداء الحق، متروكين لا يأخذهم العذاب، ممتعين في ظاهر الأمر، بالقوة والسلطة والمال والجاه! مما يوقع الفتنة في قلوبهم وفي قلوب الناس من حولهم ومما يجعل ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يحسبون أن الله - حاشاه - يرضى عن الباطل والشر والجحود والطغيان، فيملي له ويرخي له العنان! أو يحسبون أن الله - سبحانه - لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل، فيدع للباطل أن يحطم الحق، ولا يتدخل لنصرته! أو يحسبون أن هذا الباطل حق، وإلا فلم تركه الله ينمو ويكبر ويغلب؟! أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الأرض، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر! ثم يدع المبطلين الظلمة الطغاة المفسدين، يلجون في عتوهم، ويسارعون في كفرهم، ويلجون في طغيانهم، ويظنون أن الأمر قد استقام لهم، وأن ليس هنالك من قوة تقوى على الوقوف في وجههم!! وهذا كله وهم باطل، وظن بالله غير الحق، والأمر ليس كذلك؛ وها هو ذا الله سبحانه وتعالى يحذر الذين كفروا أن يظنوا هذا الظن"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الطبري: جامع البيان، 4/141.

<sup>2</sup> - ابن الجزري: التسهيل لعلم التنزيل، 1/121.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 1/524.

وسوء الظنّ بالله يوُلِّد الإنسان هما مستميتا، ويكسبه حيرة قاتلة، قال القرطبي: "ومعنى قد أهتمهم أنفسهم: حملتهم على الهم؛ والهم ما هممت به، يقال: أهتمني الشيء أي كان من همي، وأمر مهم: شديد، وأهمني الأمر: أقلقني، وهمني أذابني"<sup>1</sup>، وقال ابن عطية: "والمعنى: أن نفوسهم المريضة، وظنونهم السيئة قد جلبت إليهم الهم؛ خوف القتل، وذهاب الأموال"<sup>2</sup>، وقال الألويسي: "(وَظَايِفُهُ قَدْ أَهَمَّتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ): أي جعلتهم ذوي هم، وأوقعتهم فيه"<sup>3</sup>.

وهذا الأمر هو نتاج طبيعي لسوء ظنهم؛ إذ إن الله عز وجل يعطي الإنسان بحسب ظنه، فإن ظن بالله خيرا فله الخير، وإن ظن بالله سوءا فله سوء، قال صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، فليظنّ بي ما شاء"<sup>4</sup>؛ أي إن الله سيعطيهم بحسب ظنّهم، قال ابن بطّال: "فإن أخذ الله المنفذين للوعيد بحكمهم أنفذه عليهم دون غيرهم؛ لقطعهم على الله الواسع الرحمة بإنفاذه الوعيد، لظنهم بالله ظنّ سوء، فعليهم دائرة سوء، وكان لهم عند ظنهم كما وعد"<sup>5</sup>.

فسوء الظنّ بالله عز وجل من الأمور المحظورة في شرعنا، بل دلت الآيات على كفر من أساء الأدب مع الله عز وجل، قال ابن عطية: "(ظنّ الجاهليّة): إخبارا عما يخفونه من الكفر الذي لا يقدر أن يظهر منه أكثر من هذه النزعات، وأخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين، وهذه كانت سنته في المنافقين"<sup>6</sup>، وقال النسفي: "(ظنّ الجاهليّة) الظنّ المختص بالملة الجاهلية، أو ظنّ أهل الجاهلية، أي لا يظنّ مثل ذلك الظنّ إلا أهل الشرك الجاهلون بالله"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، 4/242.

<sup>2</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 1/528.

<sup>3</sup> - الألويسي: روح المعاني، 4/94.

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)، حديث رقم 7066، 6/2725، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، حديث رقم 2675، 4/2067.

<sup>5</sup> - ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف البكري القرطبي: شرح صحيح البخاري ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (السعودية، الرياض، مكتبة الرشيد، ط2 - 1423هـ - 2003م)، 9/265.

<sup>6</sup> - ابن عطية: المحرر الوجيز، 1/258.

<sup>7</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، 1/186.

ومن أشد الآثار السلبية المترتبة على سوء الظن بالله؛ أن الإنسان لا يعود يرى غير نفسه، ولا يهتم بما سواه، من أجل ذلك قال سبحانه في حقهم : (وَظَآئِفُهُمْ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ)، قال الرازي: "والمنافقون كان همهم أنفسهم وتحقيق القول فيه: أن الانسان إذا اشتد اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه، صار غافلا عما سواه، فلما كان أحب الأشياء إلى الانسان نفسه، فعند الخوف على النفس يصير ذاهلا عن كل ما سواها، فهذا هو المراد من قوله: (أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ)؛ وذلك لأن أسباب الخوف وهي قصد الأعداء كانت حاصلة، والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ووعد رسوله ما كان معتبرا عندهم، لأنهم كانوا مكذبين بالرسول في قلوبهم، فلا جرم عظم الخوف في قلوبهم"<sup>1</sup>.

وسوء الظن بالله عز وجل يؤول بصاحبه إلى الحسرة والندامة، والخزي في الدنيا قبل الآخرة، من أجل ذلك ختم الله عز وجل الآيات بقوله: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)<sup>2</sup>، قال ابن الجوزي: " أراد ليظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين وأراد بالتمحيص إيابة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين"<sup>3</sup>.

وقد كشف الله عز وجل عن هؤلاء الذين يظنون بالله عز وجل ظن الجاهلية؛ ليحفظ المجتمع الإسلامي منهم، ولينشئ مجتمعا موحدًا بالله عز وجل، ويحسن الظنّ به، قال الألويسي: "والتمحيص تصفية، وإنما فعله لحكمة تعمّ، إذا أريد به الكشف والتمييز، ويصح أن يقال: إن هذه الجملة مشعرة بأنه تعالى غنيّ أيضا، ومن هنا جوّز بعض المحققين كونها حالا من متعلق الفعلين، أي فعل ما فعل للابتلاء والكشف، والحال أنه تعالى غنيّ عنهما محيط بخفيات الأمور، إلا أنه لا يظهر حينئذ سر التعبير عن الإسرار والخفيات بذات الصدور دون ذات القلوب"<sup>4</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنه لا يسعنا إلا أن نسلّم بأنّ ما يعيشه العالم الإسلامي في هذه الأيام، من قهر واستعباد، وظلم وفجور، وذلة وتبعية؛ إنما هو نتيجة لسوء الظن بالله، وعاقبة

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 38/9.

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>3</sup> - ابن الجوزي: زاد المسير، 482/1.

<sup>4</sup> - الألويسي: روح المعاني، 98/4.



لسوء صنيعنا مع الله عز وجل، القائمة على قلة الأدب على مقامه، وقلة الاحترام لعلياته وكبريائه؛ لأن الله عز وجل ذكر أن جزاء الظانين بالله سوء الظن هو الهلاك، فقال سبحانه: (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا)<sup>1</sup>، أي قوما هالكين، قال الرازي: "وصرتم بذلك الظن بائرين هالكين"<sup>2</sup>، وقال أبو السعود: "هالكين عند الله، مستوجبين لسخطه وعقابه"<sup>3</sup>.

ومن هذا المنطلق؛ فإن واقعنا الذي نعيشه هذه الأيام، ما هو في الحقيقة إلا جزاءً وفاقاً لمعتقدنا؛ ولو أحسنا الظنّ به سبحانه لرفعنا بحسن ظننا به، ولن تقوم لنا قائمة في يوم من الأيام، ولن يعود لنا ذكر في عصر من العصور، إلا إذا غيّرنا حالنا، وأحسنا الظنّ به سبحانه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> - سورة الفتح، الآية 12.

<sup>2</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 78/28.

<sup>3</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 107/8.

<sup>4</sup> - سورة الرعد، الآية 11.

## المبحث الرابع

### الوقوع في المعصية وارتكاب الذنوب

الذنوب بحدّ ذاتها مهلكة، ولها عواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات؛ بل إن الذنوب سبب رئيس للهلاك، قال سبحانه: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)<sup>1</sup>، قال القرطبي: "إذا أراد سبحانه إهلاك قرية؛ أمر مترفيها بالفسق والظلم فيها، فحق عليها القول بالدمير"<sup>2</sup>.

فالذنب بحدّ ذاته سبب للهلاك، فكيف إذا ما أضيف هذا الذنب إلى الجاهلية، وانتسب إليها على أنه أمر من أمورها، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن كل أمور الجاهلية مذمومة، فقال صلى الله عليه وسلم: "أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ"<sup>3</sup>.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن الذنب والمعصية، فنسبها إلى الجاهلية؛ تشنيعاً للذنب وفاعله، فقال سبحانه: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>4</sup>.

وفي الآية إشارة إلى هلاك من عصى الله عز وجل؛ ذلك لأن سبب هلاك ابن نوح - عليه السلام - أنه عمل عملاً غير صالح، قال سبحانه: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)، أي عمل سيء، قال أبو السعود: "أصله إنه ذو عمل غير صالح، فجعل نفس العمل مبالغة"<sup>5</sup>.

ولمّا كان لهذا النوع من الجهالة عواقب وخيمة، وآثار سلبية على الأفراد والمجتمعات؛ حذّر الله عز وجل منه، ونهى عن الانتساب إليه، فقال سبحانه: (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ

<sup>1</sup> - سورة الإسراء، الآية 16.

<sup>2</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 232/10.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1218، 886/2، والحديث طويل جداً، وهذه الجملة هي جزء منه.

<sup>4</sup> - سورة هود، الآية 46.

<sup>5</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 212/4.

الْجَاهِلِينَ)، أي أهدرك أن تكون منهم فتكون من الهالكين، قال الشوكاني: "أي أهدرك أن تكون من الجاهلين"<sup>1</sup>، وقال السمعاني: "معناه: إني أهدرك أن تكون من الآثمين، وذنب المؤمن جهل، وذنب الكافر كفر"<sup>2</sup>.

واستخدام هذا الأسلوب فيه دلالة على عظم أمر الذنوب، وبيان لشناعتها، ذلك أن القرآن استخدم النهي بأسلوب التقرير، فقال: (إِنِّي أَعْظَمُكَ)، أي أهدرك، قال الرازي: "وهذا يدل على غاية التقرير ونهاية الزجر، وأيضاً جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن"<sup>3</sup>.

من أجل ذلك استعاذ نوح عليه السلام من هذا المرض، فقال: (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>4</sup>، قال الألوسي: "امتثل عليه السلام ذلك، واستعاذ بالله سبحانه أن يقع منه ما نهى عنه"<sup>5</sup>.

وهذا النوع من الجهالة ينبغي على كل عاقل أن يستعيز بالله منه، لأنه من دواعي معصية الله سبحانه، ولأنه سبب في الدمار والهلاك، ولذلك استعاذ يوسف عليه السلام منه، فقال: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)<sup>6</sup>.

والجهل هنا بسبب الوقوع في المعصية، وذلك لأمرين:

الأول: أن الذي دعاه إليه النسوة هو المعصية، ولذلك قال يوسف عليه السلام: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ)، أي من المعصية، قال القرطبي: "أي دخول السجن أحب إلي، وأسهل علي، وأهون من الوقوع في المعصية"<sup>7</sup>.

1 - الشوكاني: فتح القدير، 503/2.

2 - السمعاني: تفسير القرآن، 433/2.

3 - الرازي: التفسير الكبير، 4/18.

4 - سورة هود، الآية 47.

5 - الألوسي: روح المعاني، 71/12.

6 - سورة يوسف، الآية 33.

7 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 184/9.

الثاني: أنه سبحانه ذكر الجهل تعقيباً لقوله (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ)، أي من الصبا واللهو، قال الزمخشري: "والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا؛ لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيما وروحها"<sup>1</sup>، وقال الطبري: "وأكن بصبوتي إلهن من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك"<sup>2</sup>.

وقد دلت الآيات القرآنية على أن كل عاص لله فهو جاهل، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)<sup>3</sup>، قال قتادة: "أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما ما عصي به الله فهو جهالة، عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل"<sup>4</sup>، وقال الواحدي: "إن ذنب المؤمن جهل منه، والمعاصي كلها جهالة، ومن عصى ربه فهو جاهل"<sup>5</sup>.

واعلم أن حال مجتمعات الإسلام هذه الأيام، وما لحق بهم من قلة الأموال، والتبعية للغرب، والظلم والاستعباد؛ إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، وبسبب ابتعادنا عن كتاب ربنا، وسنة رسولنا، فال بنا المطاف إلى ما نحن فيه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>6</sup>.

فالذنوب والمعاصي لها وقع مباشر على الأفراد والمجتمعات، ولها انعكاس سريع عليهم، قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)<sup>7</sup>، من أجل ذلك كان الفضيل بن عياض يقول: "وإني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خلق حماري وخادمي"<sup>8</sup>.

1 - الزمخشري: الكشاف، 441/2.

2 - الطبري: جامع البيان، 211/12.

3 - سورة النساء، الآية 17.

4 - البغوي: معالم التنزيل، 407/1.

5 - الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 256/1.

6 - أخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم 5115، 126/9، وقال الأرئوط: صحيح لغيره.

7 - سورة الروم، الآية 41.

8 - أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط4 - 1405هـ)، 109/8.

## المبحث الخامس

### نشر الفساد والشائعات المغرضة

من أخطر الأمراض المنشرة في المجتمعات، والتي لها آثار وخيمة، ونتائج مضرّة، عدم التثبت من نقل الأخبار، وترويج الشائعات؛ وهذا مرض خطير، تعود جذوره إلى الجاهلية الأولى، وقد وصف القرآن أهله بالجهالة، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)<sup>1</sup>.

وقد نهى الله عز وجل المسلمين عن قبول خبر الفاسق، ونقل كلامه دون تحري؛ لما وراء هذا النقل من تبعات وخيمة، وآثار سلبية، قال ابن كثير: "يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له؛ لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن إتباع سبيل المفسدين"<sup>2</sup>.

فالنهي هنا عن إصابة القوم بسبب الجهل في واقعهم وحالهم، قال النسفي: "لئلا تصيبوا (بجهالة حال) يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة"<sup>3</sup>، وقال أبو السعود: "حذارا أن تصيبوا قوما بجهالة، ملتبسين بجهالة حالهم"<sup>4</sup>.

والواجب على المجتمع الإسلامي أن يتحرى الدقة في نقل الأخبار، ولا يتسرع في قبولها؛ وهذا أدب رفيع ينبغي على المسلمين التمسك به، قال السعدي: "من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، أنه إذا أخبرهم فاسق بنبأ، أي: خبر، أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردا، فإن في ذلك خطرا كبيرا، ووقوعا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة، بل الواجب عند سماع خبر الفاسق، التثبت والتبين؛ فإن دلت

<sup>1</sup> - سورة الحجرات، الآية 6.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 4/290.

<sup>3</sup> - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 4/163.

<sup>4</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 8/118.

الدلائل والقرائن على صدقه عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه، ولهذا السبب كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج المعروفين بالصدق، ولو كانوا فاسقا<sup>1</sup>.

ونقل الأخبار دون تثبت، ونشر وترويح الشائعات؛ من أشد أمور الجاهلية القديمة التي ذمها القرآن الكريم، بل سمي الذي يفعلها بالفاسق، أي الخارج عن الحق، قال ابن عطية: "والفسق الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة، كلها مظنة للكذب"<sup>2</sup>.

والأخطر من ذلك، أن نقل الأخبار دون تحريج نوع من الكذب؛ لأن ناقلها ينقل من الأخبار ما هو صحيح وما هو كذب، ولا بد وأن ينقل خبرا كاذبا من جملة ما ينقل، من أجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"<sup>3</sup>، قال الإمام النووي: "فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن"<sup>4</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن نقل الكلام دون تثبت، من الأمور العظيمة الممقوتة عند الله عز وجل، قال سبحانه: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)<sup>5</sup>، قال الرازي: "كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيم من العظام"<sup>6</sup>، وقال الشوكاني: "أي عظيم ذنبه وعقابه"<sup>7</sup>.

والناظر في الآية الكريمة يرى أن كلمتي (فَاسِقٌ)، و(نَبِيٌّ)، قد جاءتا منكرتين؛ للدلالة على العموم، قال الزمخشري: "وفي تنكير الفاسق والنبا: شياخ في الفساق والأنباء، كأنه قال: أي

1 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، 800/1.

2 - ابن عطية: المحرر الوجيز، 147/5.

3 - أخرجه مسلم: صحيح مسلم، مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم 5، 10/1.

4 - النووي: شرح النووي على صحيح مسلم، 75/1.

5 - سورة النور، الآية 15.

6 - الرازي: التفسير الكبير، 156/23.

7 - الشوكاني: فتح القدير، 14/4.

فاسق جاءكم بأيّ نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا الأمر وانكشف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق؛ لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه<sup>1</sup>، وقال الألويسي: "للتعميم لأنه نكرة في سياق الشرط، وهي كالنكرة في سياق النفي تفيد العموم"<sup>2</sup>؛ أي لا بد من التثبت من كل خبر، مهما صغر أو عظم.

وفي تخصيص الفاسق بالتثبت لطيفة جميلة، ومغزى تربوي أصيل؛ إذ إن المجتمع الإسلامي يقوم على الثقة المتبادلة بين الأفراد، وحسن الظن بين الأفراد، فلو كان التثبت من كل خبر واجب؛ لساد المجتمع الشكوك، ولأصبح المجتمع مجتمعا هستيريا لا يثق أي فرد بأخيه؛ فجاءت الآية لتبين أن الأصل في الأخبار السلامة، والأصل في الكلام الصدق، أما خبر الفاسق المعلوم فسقه، هو الذي يُطلب فيه التثبت والتحري، قال الأستاذ سيد قطب: "ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها؛ فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقته، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذا بها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق، فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل في اندفاع"<sup>3</sup>.

والتثبت الذي دلّت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: **(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)**؛ يكون بالتروي في قبول الشائعات والأخبار، والنظر في مكنونها، قال الشوكاني: "والمراد من التبين: التعرف والتفحص، والتثبت والأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، 362/4.

<sup>2</sup> - الألويسي: روح المعاني، 145/26.

<sup>3</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 3341/6.

<sup>4</sup> - الشوكاني: فتح القدير، 60/5.

والمجتمع الذي تنتشر فيه الشائعات، مصيره إلى الهلاك، وعاقبته الندامة، من أجل ذلك قال جل سبحانه: (فَتُصَبِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، قال أبو السعود: "أي: مغتمين غما لازماً، متمنين أنه لم يقع؛ فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام"<sup>1</sup>.

فعاقبة الاستهتار في نقل الكلام، وعد التثبت من المعلومات؛ هي الندم! لكنه ندم دائم لا ينتهي؛ من أجل ذلك جاء التعبير عنها بهذه الكلمة (نَادِمِينَ)، قال الزمخشري: "وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام، لأنه كلما تذكر المنتدم عليه راجعه من الندام، وهو لزام الشريب ودوام صحبته"<sup>2</sup>، وقال الرازي: "بياناً لأن الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً"<sup>3</sup>.

والمجتمع الإسلامي مجتمع تحكمه القوانين، وتقوده الحكمة، وتسوده الفضيلة، من أجل ذلك كان لا بد من التثبت في نقل الكلام، والتأكد من حقيقته، حتى ينشأ المجتمع المنشود الذي أراده الإسلام، قال الأستاذ سيد قطب: "هو عالم له منهجه في التثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها، يستند هذا المنهج إلى تقوى الله، وإلى الرجوع بالأمر إلى رسول الله، في غير ما تقدم بين يديه، ولا اقتراح لم يطلبه ولم يأمر به...، وهو عالم له نظمه وإجراءاته العملية في مواجهة ما يقع فيه من خلاف وفتن وقلقل واندفاعات، تخلخل كيانه لو تركت بغير علاج، وهو يواجهها بإجراءات عملية منبثقة من حقيقة العدل والإصلاح، ومن تقوى الله والرجاء في رحمته ورضاه"<sup>4</sup>.

وقد جاءت هذه الآية ومثيلاتها في القرآن الكريم، لتكوين مجتمع متمسك بمكارم الأخلاق، مجتمع ينشأ على الفضيلة، و يحيا من أجلها، قال الرازي: "هذه الآية فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى، أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين؛ لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجاً عنها وهو الفاسق"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 8/1118.

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، 4/363.

<sup>3</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 28/104.

<sup>4</sup> - قطب ، سيد : في ظلال القرآن، 6/3336.

<sup>5</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 28/102.



## المبحث السادس

### الحكم بغير ما أنزل الله تعالى

من الأمور التي تُميّز المجتمعات الإسلامية عن غيرها؛ مسألة الحاكمية، إذ قضية تحكيم الشريعة هي أم القضايا التي يتعلق بها مصير الأمة الإسلامية، ويندرج تحتها الكثير من القضايا الجوهرية.

إن تحكيم الشريعة أمر مرتبط تماماً بالعقيدة، وتحكيم الشريعة الإسلامية والتحاكم إليها هو معنى الإسلام، قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)<sup>1</sup>، قال الطبري: "وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها، يقول الله: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً): أيها الناس وأصوب طريقاً وأهدى سبيلاً، (مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)، يقول: ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة مصدقاً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند ربه، (وَهُوَ مُحْسِنٌ): يعني وهو عامل بما أمره به ربه محرم حرامه ومحلل حلاله"<sup>2</sup>.

فدين الإسلام وأهله فضّلوا على غيرهم بالخضوع لله سبحانه في كل أمر، والتحاكم إليه في كل شيء، قال القرطبي: "فضّل دين الإسلام على سائر الأديان؛ بأن أهله أسلموا وجههم لله، وأخلصوا دينهم لله، وخضعوا له، وتوجهوا إليه بالعبادة"<sup>3</sup>.

وكل إنسان يرفض التحاكم إلى الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم، قولاً أو حالاً، عملاً أو اعتقاداً؛ فهو خارج عن مسمى الإسلام، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)<sup>4</sup>، قال ابن كثير: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة؛ أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكّم الرسول صلى الله

<sup>1</sup> - سورة النساء، الآية 125.

<sup>2</sup> - الطبري: جامع البيان، 297/5.

<sup>3</sup> - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 399/5.

<sup>4</sup> - سورة النساء، الآية 65.

عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهراً، ولهذا قال: **(ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)**، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة<sup>1</sup>.

فسمى الإسلام متوقف على التحكيم؛ وليس فقط التحكيم قولاً، بل لا بد من التسليم لحكم الله عز وجل، والرضا به، والإيمان المطلق بعدالته، ويُسرّه، وسماحته، وحكمته، ومن لم يرض بذلك فلا إسلام له، قال سيد قطب: "لا إيمان قبل تحكيم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقبل الرضى والتسليم بقضائه؛ إن هذا المنهج الذي يدعون إليه، وهذه الشريعة التي يقال لهم: تحاكموا إليها - لا لسواها - وهذا القضاء الذي يتحتم عليهم قبوله والرضاء به، إنه منهج ميسر، وشريعة سمحة، وقضاء رحيم، إنه لا يكلفهم شيئاً فوق طاقتهم، ولا يكلفهم عنثاً يشق عليهم، ولا يكلفهم التضحية بعزيز عليهم، فإله يعلم ضعف الإنسان ويرحم هذا الضعف، والله يعلم أنهم لو كلفوا تكاليف شاقة ما أداها إلا قليل منهم، وهو لا يريد لهم العنت، ولا يريد لهم أن يقعوا في المعصية، ومن ثم لم يكتب عليهم ما يشق، وما يدعو الكثيرين منهم للتقصير والمعصية، ولو أنهم استجابوا للتكاليف اليسيرة التي كتبها الله عليهم واستمعوا للموعظة التي يعظّم الله بها لنالوا خيراً عظيماً في الدنيا والآخرة، ولأعانهم الله بالهدى كما يعين كل من يجاهد للهدى بالعزم والقصد والعمل والإرادة، في حدود الطاقة"<sup>2</sup>.

والحكم بغير ما أنزل الله تعالى جاهلية جهلاء، قال تعالى: **(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)**<sup>3</sup>؛ لأن ترك التحاكم إلى الإسلام بعد وجوده وهيمنته، يعني العودة إلى ما قبله، وهو الجاهلية، قال ابن كثير: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتتم على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل، إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية

<sup>1</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 5/521.

<sup>2</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2/697.

<sup>3</sup> - سورة المائدة، الآية 50.

يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يضعونها بأرائهم وأهوائهم ... فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"<sup>1</sup>.

وكل حكم غير حكم الله وحكم رسوله، هو حكم جاهلي؛ لأنه إن لم يكن حكم الله فهو حكم غيره، وكل حكم غير حكم الله فهو حكم ناشئ عن جهل، ومصيره إلى جهالة، قال السعدي: "أفیطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله، فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية؛ فمن أعرض عن الأول ابتلى بالثاني المبني على الجهل، والظلم، والغي؛ ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل، والقسط، والنور، والهدى"<sup>2</sup>.

والجاهلية المقصودة في الآية ليست حقبة من الزمان، أو عصرا من العصور؛ بل هي منهج سائر يتكرر كل فترة، ويظهر في كل جيل؛ من أجل ذلك كان الناس أمام هذه الآية على فسطاطين؛ الأول: رضي بحكم الله وشريعته؛ فهو مؤمن، والثاني: رضي بحكم البشر وقدمه على شرع ربه؛ فهو كافر، قال الأستاذ سيد قطب: "إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله، إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام؛ والناس - في أي زمان وفي أي مكان - إما أنهم يحكمون بشريعة الله - دون فتنة عن بعض منها - ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً، فهم إذن في دين الله، وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر - في أي صورة من الصور - ويقبلونها، فهم إذن في جاهلية، وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله،

<sup>1</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 28/2.

<sup>2</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 235/1.

والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية، وهذا مفرق الطريق، يقف الله الناس عليه، وهم بعد ذلك بالخيار!<sup>1</sup>.

من أجل ذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم التارك لجماعة المسلمين، المفارق لهم بأنه جاهلي، فإن مات فإنه يموت ميتة جاهلية، قال صلى الله عليه وسلم: "ليس أحدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَيْبَرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً"<sup>2</sup>، أي كحالهم، قال ابن حجر: "والمراد بالميتة الجاهلية: حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك"<sup>3</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى زيف حكم القوانين الوضعية، والشرائع الأخرى غير شريعة الإسلام؛ القائمة على كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، أي لا حكم أحسن من حكمه سبحانه، قال أبو السعود: "إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساو له"<sup>4</sup>.

وإني لأتعجب من قوم يستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير، يستبدلون حكم الله العليم الحكيم، بحكم البشر الذين لا يعلمون إلا ما يرون، يستبدلون حكم الله القائم على العدل، بحكم الظلم والجور، يستبدلون حكماً ثبتت عدالته، وأبهرت حكمته الأمم، بحكم هوى بالبشرية الحطيط، وجعلهم أمة متناحرة متقاتلة، قال الألويسي: "التولي عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب؛ لأن المراد بالجاهلية: الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى، الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - قطب ، سيد: في ظلال القرآن، 904/2.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، حديث رقم 6724، 2612/6، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وَجُوبِ مَلَاذِمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ فِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ، حديث رقم 1849، 1478/3.

<sup>3</sup> - ابن حجر: فتح الباري، 7/13.

<sup>4</sup> - أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، 47/3.

<sup>5</sup> - الألويسي: روح المعاني، 156-155/6.

ولكن يبقى عزاؤنا أن شرع الله لا يعرف حقيقته إلا العقلاء، ولا يعي فضيلته إلا أصحاب العقول؛ أما الجهلة فلا يعلمون شرع الله حق المعرفة، قال الشوكاني: "لا أحسن من حكم الله عند أهل اليقين، لا عند أهل الجهل والأهواء"<sup>1</sup>.

لذلك إن كثيرا منهم يعادي شريعة الله سبحانه، وينهون الناس عنها، وينوون بأنفسهم عنها، قال سبحانه: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)<sup>2</sup>، وسبب ذلك أنهم جاهلون بحقيقته، ومن جهل شيئا عاداه.

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن الآثار السلبية المترتبة على مسألة الحاكمية لغير الله، والأمور المترتبة على ذلك؛ فإننا نرى أن القرآن الكريم قد تحدث عن آثار ثلاثة، تحدث عنها مستخدما اسم الإشارة (أولئك)؛ لتدلّ على عموم البلوى بها، فإذا وقعت فإن وقعها سيكون على المجتمع، (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)<sup>3</sup>، قال ابن كثير: "يحذرّ تعالى عباده المؤمنين فتنة ومحنة يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي، ولا من باشر الذنب، بل يعمها، وهي فتنة لم تدفع وترفع"<sup>4</sup>.

وهذه الآثار هي:

### أولا: الكفر

قال تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يُحِمْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)<sup>5</sup>؛ أي إن جزاء الحكم بغير ما أنزل الله هو انتشار الكفر؛ ذلك لأن المجتمعات تنشأ على حكم غير الله، ويعيش أفرادها في ظل حكم غير حكم الله، وهذا يولد أفرادا بعيدين عن دين ربهم وشريعته، ولربما استبدلوه

1 - الشوكاني: فتح القدير، 48/2.

2 - سورة الأنعام، الآية 26.

3 - سورة الأنفال، الآية 25.

4 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 299/2.

5 - سورة المائدة، الآية 44.

بشرع غيره، قال القرطبي: "الآية عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله، من المسلمين واليهود والكفار؛ أي معتقداً ذلك ومستحلاً له"<sup>1</sup>.

فهذا الوصف متعلق بمن ترك تحكيم شرع الله عز وجل، وترك الرضا به، أو فضل عليه سواه، أو اعتقد قصوره، قال الأستاذ سيد قطب: "فليس الأمر في هذا هو أمر عدم تحكيم شريعة الله من الحكام فحسب؛ بل إنه كذلك عدم الرضى بحكم الله من المحكومين، يخرجهم من دائرة الإيمان، مهما ادعوه باللسان، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)<sup>2</sup>، فكلاهما يتعلق بالمحكومين لا بالحكام، وكلاهما يخرج من الإيمان، وينفي صفة الإيمان عن لا يرضى بحكم الله ورسوله، ومن يتولى عنه ويرفض قبوله، ومرد الأمر أن القضية هي قضية الإقرار بألوهية الله - وحده - وربوبيته وقوامته على البشر، أو رفض هذا الإقرار، وأن قبول شريعة الله والرضى بحكمها هو مظهر الإقرار بألوهيته وربوبيته وقوامته، ورفضها والتولي عنها هو مظهر رفض هذا الإقرار"<sup>3</sup>.

وقد عدّ الأستاذ أحمد شاکر أن من اتصف بهذا الوصف قد كفر كفراً أكبر، فقال: "إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين مكان ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والردّ عليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)<sup>4</sup>".

1 - القرطبي: تفسير القرطبي، 6/190.

2 - سورة النساء، الآية 65.

3 - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2/895.

4 - سورة النساء، الآية 59.

5 - شاکر، أحمد: حكم الجاهلية، ص8.

## ثانياً: الظلم

قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>1</sup>؛ فالمجتمع الذي لا يحكم بشرع الله عز وجل، هو مجتمع ظالم، تسوده الفئويّة، وتتقدم فيه المصالح الشخصية، لأن العدل والقسط لا يكون إلا بشرع الله عز وجل، وكل شرع غيره فهو شرع ناقص، قال ابن كثير: "(فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ): لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضاً"<sup>2</sup>.

ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق"<sup>3</sup>؛ وهو في هذه الآية كفر أصغر غير مخرج من الملة، لأنهم لم يستحلوا ترك التحاكم إلى شرع الله، ولكنهم أعملوا غيره، فظلموا وظلموا، قال السعدي: "هو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له"<sup>4</sup>.

## ثالثاً: ظهور الفسق

قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)<sup>5</sup>، وهذه الحكم (الفسق)، هو وصف تبعي؛ ونتيجة عملية على ترك الحاكمية لله دون استحلالاً لذلك، فالمجتمع الذي لا يتحاكم إلى شرع الله، لا تظهر فيه شعائر الإسلام ظاهرة، وهذا الأمر يُنشئ جيلاً بعيداً عن دينه وعقيدته، وهكذا حتى تبدأ شعائر الإسلام بالخفاء، ولا يعود يُعمل بها، قال ابن كثير: "الفاسقون الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق"<sup>6</sup>، وقال الرازي: "الكافر هو

1 - سورة المائدة، الآية 45.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 62/2.

3 - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 256/6.

4 - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 233/1.

5 - سورة المائدة، الآية 47.

6 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 66/2.

الذي أتى بصد حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله، أما الفاسق فإنه لم يأت بصد حكم الله إلا في القليل؛ وهو العمل، أما في الاعتقاد والإقرار فهو موافق<sup>1</sup>.

وقد أوضح الأستاذ سيد قطب الفرق بين الأحكام الثلاثة (الكفر، الظلم، الفسق)، فقال: "والنص هنا على عمومته وإطلاقه، وصفة الفسق تضاف إلى صفتي الكفر والظلم من قبل، وليست تعني قوماً جددًا، ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى، إنما هي صفة زائدة على الصفتين قبلها، لاصقة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أي جيل، ومن أي قبيل؛ (الكفر) برفض ألوهية الله ممثلًا هذا في رفض شريعته، (والظلم) بحمل الناس على غير شريعة الله وإشاعة الفساد في حياتهم، (والفسق) بالخروج عن منهج الله واتباع غير طريقه؛ فهي صفات يتضمنها الفعل الأول، وتتطبق جميعها على الفاعل، ويبوء بها جميعاً دون تفريق"<sup>2</sup>.

وإذا ما نظرنا في حال أمتنا العربية والإسلامية فإننا نرى انطباق هذه الأوصاف الثلاثة واقعا ملموسا، فأكثر الشعوب استبدلت شرع ربها بقوانين وضعية فيها ما فيها من الظلم، وبعض تلك الشعوب مغلوب على أمره، رضي بشرع غير شرع الله مقهورا، إلا أنه يعلم حقيقة أن العدل في شرع ربه، والقسم الأخير أخذ من شرع ربه ما وافق هواه، ونسي وتغافل عن كثير من القوانين الربانية التي توفر العدالة الاجتماعية، والراحة الربانية؛ من أجل ذلك استحق كثير منا الذل والهوان، والخزي في الدنيا قبل الآخرة، (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)<sup>3</sup>، قال الأستاذ أحمد شاكر: "ومما يملأ القلب ألما وحزنا: أن صار أكثر الأمم التي تنتسب إلى الإسلام إلى هذا الوصف المكروه، وقعوا في مثل هذا العمل الذي ذم الله اليهود من أجله، وجعل جزاء من يفعله خزيا في الحياة الدنيا، وردا في الآخرة إلى أشد العذاب، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن، ويشهدون له بذلك، ويعرفونه، ويزعمن القيام بأمره، ثم هم يخالفونه في التشريع في شؤونهم المالية، والجنائية، والخلقية، ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه، وتشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه لا يوافق

<sup>1</sup> - الرازي: التفسير الكبير، 6/12.

<sup>2</sup> - قطب، سيد: في ظلال القرآن، 901/2.

<sup>3</sup> - سورة البقرة، الآية 85.



العصر، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاؤوا، وافق الكتاب والسنة أم خالفه، ويصطفون قوانين أوروبية الوثنية الملحدة، ويشربونها في قلوبهم، يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أنزل إليهم من ربهم، ولا يتعظون بما أنذرهم به ربهم من المثل بالأمم قبلهم"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - شاكراً، أحمد: حكم الجاهلية، ص 67-68.

## الخاتمة

في نهاية هذه الرسالة، فإن الباحث لا يسعه إلا أن يحمد الله عز وجل على تمام نعمته عليه، وتوفيقه لإتمام هذا العمل، والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان صاحبه، وأن ينفع به قارئه، وأن يفيد به الإسلام والمسلمين.

وبعد هذه الدراسة، فإن الباحث قد وقف على جملة من النتائج والتوصيات، والتي كانت نتاج هذه الدراسة، والتي هي:

### أولاً: نتائج الدراسة

1- إن الإطلاق اللغوي للجهل مرتبط بثلاثة أمور؛ الأول: مرتبط بالاعتقاد الذهني، وهو الجهل بالشيء. والثاني: مرتبط بالسلوك، وهو فعل الأمر على غير صورته. والثالث: مرتبط بالاصطلاح العرفي، وهي الفترة التي كانت قبل مجيء الإسلام.

2- الجهل نوعان: جهل بسيط، وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً، و جهل مركب، وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.

3- دل لفظ الجهل في القرآن الكريم على خمسة معان، هي:

أولاً: الجهل نقيض العلم، ثانياً: الجهل السلوكي (السفه والخفة والطيش)، ثالثاً: الجهل بمعنى المعصية، رابعاً: الجهل بمعنى ضعف الإيمان، خامساً: الجاهلية بمعنى الفترة الزمنية التي سبقت الإسلام.

4- قسم القرآن الكريم الجاهلية إلى أربعة أصناف، وقسم مظاهر الجاهلية على هذه الأصناف، وهذه الأوصاف هي: (جاهلية العقيدة، وجاهلية التشريع، وجاهلية الأخلاق والسلوك، وجاهلية العلم).

5- حذر القرآن الكريم من الجاهلية، وأشار إلى زيفها وخطرها، وأتبع في سبيل ذلك أساليب عدة، ومناهج كثيرة؛ ليصد عنها، ويبعد الناس عن مصائبها. من أهمها:

\* دعوته إلى الوحدة وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وحثّ كذلك على العلم ونبذ الجهل.

\* نهى عن التبرّج والسفور والاختلاط.

\* نهى عن الأخلاق الجاهلية المذمومة وشنّع على مرتكبيها.

\* أورد القرآن الحكيم من القصص القرآني ما فيه العبرة والعظة لمآلات الأمم الكافرة المتصفة بالجهل.

6- إن للجاهلية آثار سلبية، وعواقب وخيمة، تعود عواقبها على الأفراد والمجتمعات، وقد أشار القرآن الكريم إلى جملة من هذه الآثار، كاشفاً أصل الداء، ومقدّماً أفضل الدواء. ومن هذه الآثار أذكر:

\* الحكم بغير ما أنزل الله .

\* ظهور الفساد الناشئ عن التبرّج والسفور وانتشار الفواحش .

\* تفشي العصبية القبلية والحمية الجاهلية .

### ثانياً: توصيات الدراسة

1- إن موضوع الجاهلية لم يحظ بالاهتمام اللائق من قِبَل المتعلّمين والدّارسين، فلا بد من إعطائه قدراً أوسع، وتخصيصه بالدراسات والأبحاث؛ إذ إن هذا الموضوع مهم جداً لجيل هذا العصر، وملامس للواقع على قدر كبير.

2- على الأمة الإسلامية أن تعي خطورة هذا المرض، وتبتعد عنه قدر الإمكان؛ إذ أن هذا المرض له تبعات خطيرة، ومصائب جسيمة، لو لم تتدارك لحطّت بالأمة الإسلامية إلى الحضيض.

3- ينبغي على أهل العلم أن يبينوا للناس مظاهر الجاهلية في عصرهم، ويحذّروا الناس منها؛ إذ أن تلك المظاهر لو بقيت في الأمة، لحلّ بها ما حلّ بسابقيهم.

4- على الأمة الإسلامية أن تعود لكتاب ربها، وسنة نبيها؛ حتى ترفع صفة الجاهلية عنها، وتصير الأمة المنشودة التي رسم ملامحها نبينا الكريم عليه السلام، وصحبه الأطهار

رضوان الله عليهم؛ وإذا لم تفعل ذلك! فإنها ستعود أمة جاهلية كما كانت قبل بعثة النبي  
صلى الله عليه وسلم.

وختاماً، فإنني أسأل الله عز وجل، العليّ العظيم، أن يجعل في هذه الرسالة المتواضعة الخير  
والفائدة، وأن يكتب لها ولكاتبها وقارئها التوفيق السداد، وأعوذ به سبحانه من الخطأ، أو السهو،  
أو الغفلة؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

## فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا	البقرة	31	1
2	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً	البقرة	67	100,22
3	وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ	البقرة	85	131
4	رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا	البقرة	236	32
6	ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا	آل عمران	154	75,42
7	إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ	النساء	17	119,24
8	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	النساء	48	41
9	فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	النساء	59	124
10	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ	النساء	60	50
11	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	النساء	65	129,124
12	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ	النساء	125	124
13	لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا	المائدة	2	111,110
14	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ	المائدة	44	128,79,49
15	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	المائدة	45	130,79,49

130,79,50	47	المائدة	16 وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
79,74,26 125,88	50	المائدة	18 أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا
34	55	المائدة	19 إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
128,62	26	الأنعام	20 وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ
101	35	الأنعام	21 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى
24	54	الأنعام	22 كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
96,43,18	111	الأنعام	23 وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى
107	26	الأعراف	24 يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا
38,21,14	138	الأعراف	25 وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَبْعُكُمُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ
73,40	139	الأعراف	26 إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
83,61,22 101	199	الأعراف	27 خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
128	25	الأنفال	28 وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
44	96	يونس	29 إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
53	27	هود	30 فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا
91,54,53	29	هود	31 وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ
98	42	هود	32 وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

117	46	هود	33 قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
118	47	هود	34 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
78	105	هود	35 يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
118,99,23	33	يوسف	36 قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
16	89	يوسف	37 قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
116	11	الرعد	38 إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
ث	114	النحل	39 وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
24	119	النحل	40 ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا
117	16	الإسراء	41 وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
1	123	طه	43 قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
1	124	طه	44 وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
44	23	الأنبياء	45 لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
78	18	الحج	46 وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
100	97	المؤمنون	47 وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ
121	15	النور	48 إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
99	24	النور	49 يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

74	23	الفرقان	50 وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا
72	44	الفرقان	51 أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
17	63	الفرقان	52 وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
36	14	النمل	53 وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
80,57,14 93	54	النمل	54 وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
80,57,14 93	55	النمل	55 أَعَنَّاكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ
94,80,59	56	النمل	56 أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ
85,63,62 86	55	القصص	57 وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ
119	41	الروم	58 ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ
88,63,27 104	33	الأحزاب	59 وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُمْ فَلَا تَبْرَحْنَ تَبرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
102	48	الأحزاب	60 وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
17	72	الأحزاب	61 إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
81	73	الأحزاب	62 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
68	6	سبأ	63 وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ
68	28	فاطر	64 إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ



17	64	الزمر	65 قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ
41	65	الزمر	66 ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك
47	21	الشورى	67 أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ
87	17	الجاثية	68 ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
87	18	الجاثية	69 إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
81	21	الأحقاف	70 وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ
81,46,19 92	23	الأحقاف	71 قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
116	12	الفتح	72 بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً
88,35,28 108	26	الفتح	74 إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
120,26,20	6	الحجرات	75 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا
43	12	الحجرات	76 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ
56	13	الحجرات	77 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	(وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	108,37
2	أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي	106
3	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها منتنة	38
4	أبغض الناس إلى الله ثلاثة	87
5	أَعْيَرْتَهُ بِأَمَةٍ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	37
6	أَلَا إِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ	69
7	أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ	108,89,73 117
8	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ	110,78
9	إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحَبَّةُ، ثُمَّ الزَّمَنَ ظُهُورَ الْحُصْرِ	66
10	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ	43
11	بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده	87
12	قال الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فليظنَّ بي ما شاء	114
13	لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبِيرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ	90
14	لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)	22
15	ليس أحدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبِيرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ	127
16	ليس منّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب	46
17	ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النساءِ	106
18	من تشبه بقوم فهو منهم	119,88
19	مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُنَائِ جَهَنَّمَ	74

## المصادر والمراجع

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (صيداء، المكتبة العلمية).
- ابن الجزري، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبى: التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4 - 1403هـ - 1983م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3 - 1404هـ).
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (لبنان، بيروت، دار صادر، ط1 - 1358هـ).
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2 - 1393هـ - 1973م).
- ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى الحنبلي: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ط2 - 1413هـ).
- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف البكري القرطبي: شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (السعودية، الرياض، مكتبة الرشيد، ط2 - 1423هـ - 2003م).
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط2 - 1369هـ).

- : منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (مؤسسة قرطبة، ط1 - 1406هـ).
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحلیم الحراني: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، ط2).
- ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محيي الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة).
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول، تحقيق: إحسان عباس، (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2 - 1987م).
- ابن عبد الوهاب، محمد ابن سليمان التيمي: شرح مسائل الجاهلية، تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان، (المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1 - 1421هـ - 2005م).
- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين العمري، (بيروت، دار الفكر، ط1 - 1995م).
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 - 1413هـ - 1993م).
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط2 - 1420هـ - 1999م).
- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (لبنان، بيروت، دار الفكر، ط1 - 1405هـ).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، والمشهور بتفسير ابن كثير، (بيروت، دار الفكر، 1401هـ).

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر).
- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1421هـ - 2001م).
- أحمد شاکر: حکم الجاهلیة، (مکتبة السنة، ط1 - 1992م).
- الأزهری، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 - 2001م).
- الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد: كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط1 - 1417هـ - 1997م).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3 - 1407هـ - 1987م).
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي: قواعد الفقه، (كراتشي، الصدف ببلشرز، ط1 - 1407هـ - 1986م).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (بيروت، دار المعرفة).
- البقاعي أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م).
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، (بيروت، دار الفكر).

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، (لبنان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (لبنان ء التراث العربي، ط1 - 1422هـ - 2002م).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1 - 1399هـ - 1979م).
- الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز: تسهيل العقيدة الإسلامية، (دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف: التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1403هـ - 1983م).
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1407هـ - 1987م).
- الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9 - 1413هـ).
- الكبائر، (بيروت، دار الندوة الجديدة).
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1421هـ - 2000م).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان، دار المعرفة).

- رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
- زكريا الأنصاري، أبو يحيى بن محمد بن زكريا: الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1 - 1411هـ).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل (الكشاف)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2000م).
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث: بحر العلوم، المسمى (تفسير السمرقندي)، تحقيق: محمود مطرجي، (بيروت، دار الفكر).
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار: تفسير القرآن، المعروف بـ (تفسير السمعي)، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418هـ - 1997م).
- سيد قطب، إبراهيم حسن الشاربي: في ظلال القرآن، (لبنان، بيروت، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط17 - 1412هـ).
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت، دار الفكر، 1993م).
- -----: معجم مقاليد العلوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، (مصر، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1 - 1424هـ - 2004م).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م).

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (بيروت، دار الفكر).
- صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، (بيروت، المكتبة العلمية).
- الطالقاني، صاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط1 - 1414هـ - 1994م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تفسير الطبري، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- عنتر بن شداد: ديوان عنتر بن شداد، (بلا طبعة ولا دار نشر).
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- الفراهيدي الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال).
- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت، المكتبة العلمية).
- القاضي نكري، عبد النبي الأحمد: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: حسن هاني فحص، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1421هـ - 2000م).
- القحطاني، محمد بن سعد: الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، (المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، دار طيبة، ط6 - 1413هـ).
- القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (بيروت، دار الأرقم).
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (القاهرة، دار الشعب).



- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م).
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، (السعودية، الرياض، دار طيبة، 1402هـ).
- المحلي، والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد، وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: تفسير الجلالين، (القاهرة، دار الحديث، ط1).
- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ - 2001م).
- محمد قطب: جاهلية القرن العشرين، (مصر، دار الشروق، ط12 - 1412هـ - 1992م).
- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- المناوي، عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الكبير، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط1 - 1356هـ).
- المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف (التعاريف)، تحقيق: محمد رضوان الداية، (لبنان، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 - 1410هـ).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف بن مري: تهذيب الأسماء واللغات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).
- -----: شرح النووي على صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 - 1392هـ).
- الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري: التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، (مصر، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط1 - 1412هـ - 1992م).

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، الدار الشامية، وبيروت، دار القلم، ط1 - 1415هـ).
- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: الموسوعة الفقهية الكويتية، (مصر، مطابع دار الصفاة، ط1 - 1427هـ).
- ياسين، محمد نعيم: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، (مصر، الإسكندرية، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع).
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي: معجم الأديباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1411هـ - 1991م).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تحقيق: مروان الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005م)، 218/3.
- الآلوسي: روح المعاني، 249/14.
- عمرو بن كلثوم ، أنظر ديوان عمر بن كلثوم، حققه وجمعه إميل بديع يعقوب،(بيروت، دار الكتاب العربي، ط1\_ 1991م)، ص78 .
- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: الموسوعة الفقهية الكويتية، (مصر، مطابع دار الصفاة، ط1 - 1427هـ)، 198/16، مع توسع أكثر هنا.
- دروزة، محمد عزّت : التفسير الحديث، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ)، 418/2 .
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي: معجم الأديباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1411هـ - 1991م)، 239/5.
- انظر، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: الكباير، (بيروت، دار الندوة الجديدة)، 183/1.
- الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حَدِيثُ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث 17170، 404/28، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح،

- وأخرجه الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الأمثال، باب ما جاء في مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، حديث 2863، 148/5، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الفائق في غريب الحديث والأثر ، (لبنان ، دار المعرفة ) تح : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2، 384/2.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم الأفرريقي : لسان العرب، (بيروت ، دار صادر ) ط 1 ، 112/11.
- الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السدي : معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق : عبد الجليل عبدو شلبي ،(بيروت ،عالم الكتب ، 1988 ) ، ط 1، 149/4.
- ابن جزّي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 4 - 1403هـ - 1983م)، 107-106/2.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط 4 - 1405هـ)، 109/8.

**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

# **Al-Jahl and Al-Jahiliyyah: A Quranic Study**

**By**

**Bilal Abdelrahman Mohammad Sleem**

**Supervisor**

**Dr.Odeh Abdallah**

**This Thesis is Submitted in Partial fulfillment of the Requirements for the Degree of Master, of Fundamentals of Islamic Law (Usul AL-Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

**2015**

# **Al-Jahl and Al-Jahiliyyah: A Quranic Study**

**By**

**Bilal Abdelrahman Mohammad Sleem**

**Supervisor**

**Dr.Odeh Abdallah**

## **Abstract**

This study deals with the subject of jahiliyyah and its verses as a koranic subject that holy quran present ed wi thin a series of different subjects that it dealt with, pointed to its

This study presented this subject in four seasons :

The first season is about the meaning of ignorance in language and terms following its mentioning in holy quran. Then showing the meaning of the word in each position. Finally it talked about synonyms of the word of ignorance in holy quran.

The second season of this study is about the types of jahiliyyah in holy quran. It talked about the ignorance of faith and showed its appearances in holy quran , then ignorance of legislation and it showed its appearances then ignorance of science.

This season conclude'd by approuing that Islamic nation today is better than other nations in livig in jahiliyyah due to being for from its religion and ignoring it.

The third season of this study is about thinking about the method of holy quran in warning about jahiliyyah. It showed the method of holy quran in warning about the behaviour of jahiliyyah and showed its falsity and invalidity then it showed the call of quran to be away from it and in hibited from imitating it. The season ended in describing the unbelieving nations

and showed the honesty of prophets peace be upon them from ignorance and jahiliyyah.

Finally it talked about the effect of jahiliyyah and its provisions upon individual and society it talked about each aspect of ignorance that holy quran talked about. It showed its effects and revealed its dangers on individuals and societies.